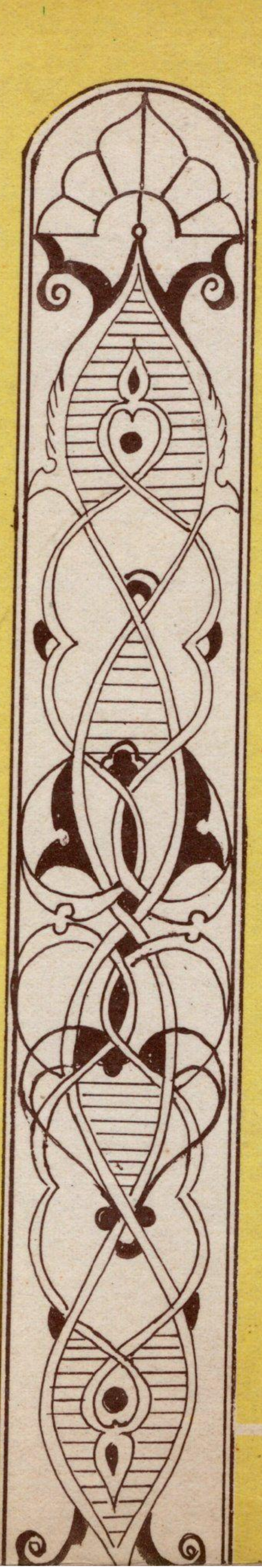
نوافذ

تأليف

يعقوب افرام منصور





١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

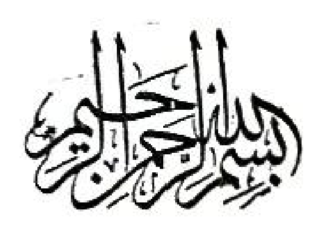




تأليف

يعقوب أفرام منصور

الطبعة الاولى



المقدّمة

رقد مخطوط هذا الكتاب مع أشقّاء له زهاء خمسة عشر عاماً ، أي أكثر مما يلبث راقود الخمر أو النبيذ في القبو عادةً ، ينتظر من يقيمه من رقدته ، ويأخذ بيده إلى عالم النور واللمس . فلما أتيح له الظهور ، ألفيت أن رقاده الطويل كان لخيري وخيره كذلك ، لما انتهى إليه من تشذيب وتنقيح طفيفين ، وأضحى له أشقاء أربعة ، سُلخوا من كيانه الأصلي ، كما أستُلّ ضلع من صدر آدم أثناء سباته لغرض إبداع حواء – كما تروي أسطورة التكوين العبرية – والفارق بين ماسُلخ من كتابي وبين ماأستُلّ من صدر آدم ، أن « الانسلاخ » تمّ بوعي ويقظة ، وأن «الأستلال» حصل في برهة السبات الذي ألقاه مبدع الأكوان والمخلوقات على أبي البشر! وأنّ مانجم عن «الأستلال» ولادة أم البشر – والدة الخير والشر وجالبة الأفراح والأتراح – وأنّ مانجم عن «الأنسلاخ» ولادة أشقاء ، فأطلقت عليهم هذه الأسماء :

جبران كما كتب عنه لبنانيون وآخرون
القلق الروحي في العالم ومقالات أخرى
علّموا أولادكم الموسيقى ومقالات أخرى في الفن والأدب
شؤون وشجون

جلّ ماأشتمل عليه هذا المؤلّف وأشقّاؤه ، سبق نشره في صحف ومجلات شتى ، بعضها يعود إلى أواخر العقد الخامس من القرن ، وبعضها من نتاج العقدين السادس ومطلع السابع . فلا غرو إن تنوعّت المواضيع وتفاوتت الأساليب ، وهي بعد كل ذلك لا معدى عن اعتبارها بواكير بالنسبة لما تلاها من وضع وترجمة .

بغداد – ١٩٨٤/١١/١٥ يعقوب أفرام منصور

فلنكرّم أبا حيّان التوحيدي*

لم أعرف نظير أبي حيّان التوحيدي أديباً نابغة ، جُهل مقامه ؛ ولا ضريبَ صاحب (المقابسات) و(الأشارات الألهيّة) وغيرهما من التآليف العميقة فكراً ، الرائعة فناً ، كاتباً ذا براعة بارعة متفننة وعقل ثاقب ، وفؤاد ذكي ، وعلم غزير ، وشمول في فنون المعرفة ؛ قد انتُقِصَ قدره في موطنه وغربته ، وامتُهِنَت مكانته في حياته كما في مماته ، ولقد صدق سعدي الشيرازي إذ قال في (روضة الورد) : —

العارف الفذّ إمّا الحظّ عاكسه   فحيثما حلّ لم يُذكر لدى الناس

وإنّه لمما يثير النفس المنصفة ، المفطورة على إطلاق الأحكام الصائبة على القيم والمثل والأمور ، ويستفزّ النفوس الموهوبة عقلاً راجحاً وذوقاً سليماً ، المكتسبة تثقيفاً عقلياً ، والمزدانة بالتسامح والأبتعاد عن التعصّب المقيت ، والتزمت الذميم ؛ إنّ عبقرياً كأبي حيّان التوحيدي البغدادي ، لاتثّمن أعماله الأدبية الرفيعة كما ينبغي ، وإنّ لوذعياً كاليمّ المتلاطم مثل أبي حيّان ، لم يُبَوّأ منزلته اللائقة بين رعيل الصف الأول من البلغاء ورجال الفكر اللوامع ، إن لم يكن خلال عمره المديد ، فعلى الأقل غبَّ ارتحاله بقرون عديدة . وما أروع أرجوزة سعدي الشيرازي في هذا المقام ، إذ يقول : —

بالعلم لاتحرز نيل الجاه   إلا بتأييد من الاله
فكم جهول حظّه سعيد   وكم عليمٍ حظّه منكود
ذو الكيميا يقضي بوجه شاحبٍ   والبله تلقى الكنزّ في الخرائب

(*) كتب في ٦٣/١/١٨ ، ونشر بصورة مختصرة في جريدة (كل شيء) البغدادية الصادرة في (١٠) آب ١٩٦٤ . ثم نشر في مجلة (المناهل) الصادرة في ٦٤/٩/١٧ كما مثبت هنا .

وممّا يولّد في القلب الكمد والسخط ، ويورث النفسَ سخرية وامتعاضاً أنّ الغالبية العظمى من ناشئة هذا الجيل ، وطليعة الأدباء في الجيل السالف، لم يسمعوا بآثار أبي حيّان النفيسة ، ولم يستوعبوها ويغترفوا من معينها . بينما هم قد درجوا على السماع بآثار بديع الزمان الهمذاني . ومقامات الحريري والانكباب على رسائل القاضي الفاضل وابن عبّاد وابن العميد ونظرائهم من أصحاب الصنعة المتكلّفة والسجع الرتيب المملّ ، وأندادهم من ذوي الأفكار السطحية والفنون العقيمة ، ونشأوا على الأكتفاء بالتزود من يتيمة (الثعالبي) ، وبنبش معجم (ياقوت) ، والأقتباس من (فهرست) ابن النديم . ومما يؤجج سعيراً حامياً في النفوس التي تغار على قدسية الكلمة واحترام الفكر النير ، وتثمين الفنّ المشرق الأصيل ، ألاّ تتطرّق إلى هذا الفذّ وآثاره العظيمة كتب المعاصرين في تاريخ الأدب العربي (١) من قريب أو بعيد ، وكأنّه نكرة من النكرات السطحيين ، ومغمور من المغمورين التافهين .

لقد وهب الباري ، أبا حيّان التوحيدي جبروتاً في العقل ، وحرمه قوّة الشخصيّة ، وجرّده من ملاحة الوجه وحُسن المظهر . وهاتان الميزتان — الجبروت العقلي والهوان الشخصي مع رثاثة المظهر والسمة — قد أسهمتا إلى حد بعيد في غمط حقّه ، وثلم منزلته ، وزهد الناس في آثاره ، وتنكّرهم له. وهذا ، مع الأسف الشديد ، كان — ومازال إلى حدّ ما حتى يومنا مثلبة سواد الناس ، إذ يقبلون على اليسير والسطحي والتافه ، ويتهافتون على المظاهر والظواهر دون الكنوز الدفينة . وما أحسن ماقال سعدي : —

فلو أنّ رزقَ المرء يزداد بالحجا لما نالَ ذوجهل فتيلاً من الرزق
ولكنّ رزقَ الجاهلين ميسّرٌ لذا احتار فكر النابهين من الخلق

ولحسد معاصريه والحاقدين عليه ، ممّن قصّروا عن اللحاق به ومضاهاته، دور بارز في إخفاء معالم شخصيّته ، وملامح آثاره وطمسها ، فعاش ومات شريداً منسياً فقيراً .

(١) يستثنى من ذلك كتاب المرحوم زكي مبارك الموسوم (النثر الفني في القرن الرابع)

إنّ أبا حيّان ، بمفرده ، يمثّل بيئته وعصره أحسن تمثيل . فلو استغنينا عن كل التصانيف والمؤلّفات ، عدا آثار أبي حيّان ، لاستطعنا من خلالها. بكل يسر ، التوصّل إلى مدى مابلغ القرن الرابع الهجري من ازدهار في الفكر ، وانتعاش في المعرفة ، وأوج الأتقان في النثر الفني الذي هو عميده بدون منازع ومغالاة .

ولعلّ المرحوم الدكتور زكي مبارك (وهو أيضاً نظيره ، لم ينصفه عصره كما وجب) أوّل باحث عربي أدرك منزلة الرجل الحقيقية ، وعرف قدره. ووضعه في موضعه المناسب من الطليعيين في كتّاب الآراء والمذاهب والمنحى الفنّي المتميز . فكتب عنه ماكتب في مؤلّفه (النثر الفنّي). ولا أدري ان كان المرحوم محمد كرد علي في كتابه (أمراء البيان) سابقاً في هذا المضمار أم لاحقاً .

ومن الغريب حقاً ، أن أوّل من أدرك مكانة الرجل ، وقدّر مرتبته في مجال البلاغة والبيان العربيين ، هو المستشرق (آدم متز) كما ورد في كتابه التاريخي (حضارة الأسلام في القرن الرابع الهجري) حيث أطلق حكمه الجريء ، على أنّ أبا حيّان أستاذ كتّاب ذلك العصر طراً . فقد توصّل إلى هذا الأدراك بصورة شخصية عن سبيل المقارنة والتتبّع والأستنتاج غير عابيء بأحكام الأقدمين من مؤرّخي سيَر الرجال وآداب العرب ، ومؤلّفي تراجم الأدباء . فاهتدى إلى ميزات هذه الشخصية الفذّة النادرة في بحث حضاري ، لم يكرّسه لتاريخ الأدب العربي أو اساطينه وأعلامه.

فإن لم ينل أبو حيّان حظوة يستحقها من دهره ومااتلاه ، ولم يحرز مقاماً يناسبه عند معاصريه واللاحقين ، فعلينا نحن أبناء هذا الجيل الناهض والقرن الصاعد ، أن نقوم بإنصاف هذا الرجل العظيم . ونزجي اليه مايستوجب من التكريم والأجلال .

وإن فات السلف تثمين تصانيف أبي حيّان كما يجب ، وأعرضوا عن تدارس آثاره ونشرها والانكباب عليها ، فحريّ بنا – وقد فتحنا أبصارنا على أضواء الحقائق ، وأزحنا الغشاوات عن بصائرنا ، وفتّننا الأختام على أسماعنا – أن نقوم بهذا العبء ، وننجز مايتطلّبه منّا الواجب ، ويبتغيه الأنصاف ، ويكتفي به إجلال ذوي المواهب وأصحاب الكفاءآت وأولي القابليـات .

فكيف نكرّم أبا حيّان ، وكيف نجلّه ؟ في اعتقادي ، إنّ هذا لايتمّ عن طريق الأحتفالات بذكرى مولده أو وفاته ، خصوصاً وأنّ الرجل مجهول المولد والوفاة . فالمصادر المتداولة لايمكنها تحديد سنة مولده وعام وفاته ، وكلّ ما أوردته هذه المصادر ، لايعدو الحدس والتخمين .

إذاً ، فلنكرّم أبا حيّان التوحيدي ، بأن نطلق إسمه على شارع عظيم من شوارع مدينة السلام ، يكون مجاوراً لجامعة بغداد ، أو طريقاً رئيسياً مؤدياً اليها ، تكتنفه الخمائل ، وتحفّه السواقي الجارية الرائقة ، حيث يحلو لمطالعي الادب ، ومحبّي الحكمة ، وعشّاق الفلسفة ، الركون اليها . فلعلّ في أكنافها تُعقد مجالس التحاور والتناظر ، وحلقات التقابس والتدارس كتلك الحلقات والمجالس التي صوّرها وسرد ما جال فيها صاحب(المقابسات) و (الأمتاع والمؤانسة) و (المحاورات والمناظرات)قبل تسعة قرون ونيّف.

فلنكرّم هذا العبقري بأن نشيّد مدرسة عصريّة تحمل اسمه ، يتوسّط باحتها تمثاله ، ويُستحسن – إن أمكن – إقامة هذه المدرسة في موضع محلّة أبي حيّان (درب الحاجب) أيّام مقامه في مدينة السلام التي أحبّها ولهج بذكرها كثيراً . ولا اخال انّه من العسير على الملمّين بتاريخ بغداد القديمة ومواضعها العتيقة – كالدكتورين الفاضلين أحمد سوسة ومصطفى جواد مثلاً – أن يحدّدوا محلة (درب الحاجب) في القرن الرابع الهجري.

فلنجلّ هذا الألمعي بأن نرفع صورة فنّية تمثّله في قاعات المكاتب العامة ودور الكتب والكليات والجامعات .

فلنحي ذكرَ أبي حيّان التوحيدي البغدادي بنشر آثاره، وطبع تآليفه طباعة تليق بمحتواها وفنّها ومؤلّفها . لقد حان أن نكرّم هذا الجهبذ . ونجلّه . فنفضل سابقينا ، ونسبق لاحقينا ، فلا يصحّ فينا قول سعدي الشيرازي :

إمّا الوفاء خيالٌ لا وجود له أو انّه لم يقم يوماً به أحد

أرجو أن تكون كلمتي بذرة صالحة في أرضٍ خصيبة ، ونداءً مسموعاً من ذوي الأسماع (١) .

---

(١) في أواخر خريف عام ١٩٦٤ ، إستلمت مكالمة هاتفية من الملحقية الثقافية الفرنسية ، تعلمني أن المستشرق الفرنسي السيد مارك بير جه(Marc Berge) – المتخصص في دراسة أبي حيان التوحيدي وآثاره .. يبلغني تحياته وانه يود معرفة عنواني ، وذلك قبل أن يبارح بغداد إلى دمشق بصورة عاجلة ، وعقب إقامة قصيرة في بغداد إطلع خلالها على بحثي هذا وعلى رد الدكتور مصطفى جواد عليه ، وأنه في طور إعداد أطروحة عن أبي حيان .

وكان استحصال الملحقية الثقافية المذكورة رقمي الهاتفي قد تم عن سبيل اتصالهـا بصاحب (المناهل) السيد عبدالرزاق بستانة الذي بدوره اتصل بالأخ الصديق حارث طـه الراوي في المجمع العلمي .

وكنت آنذاك قد هيأت بحثي الموسوم (دفاع عن أبي حيان التوحيدي) ورفعته إلى صاحب (المناهل) الذي وعد بنشره ، لكن احتجاب لمته عن الظهور ، حال دون ذلك ، ومنذئذ لم يردني خطاب من المتمشرق الفاضل ، ولم أقدم على مراسلته نظراً لظروف مؤلمة داهمتني منها وفاة الوالدة – رحمها الله – وتعرضي إلى آلام جسمية مبرحة إثر اصطدام سيارتي في أوائل كانون الأول ١٩٦٤ . والمقال الآنف الذكر (دفاع عن أبي حيان التوحيدي) مثبت في مكان لاحق من هذا الكتاب .



أبو حيّان التوحيدي واتّهامه بالزندقة*

حالما لمحتْ عيني كتاب « مثالب الوزيرين » (١) لأبي حيّان التوحيدي. إقتنيته بلهفة الولهان ، وطالعته برغبة الحرّان . واني إذ أقرّ بالمتعة التي حصلت عليها . والفائدة التي اكتسبتها من مطالعتي هذا الأثر الفريد في بابه ، ينبغي أن أعرب عن شكري الجزيل المتواضع لمحققه الدكتور إبراهيم الكيلاني على الجهد الوافر الذي بذله لأخراج هذا الكتاب ، وجعله في متناول القاريء العربي . وعلى الشروح والتعليقات التي حفل بها الكتاب .

لكنّي لم استطع إخفاء تأثري وامتعاضي حينما بلغت الصفحة السادسة والعشرين بعد المئة ، فقرأت تعليق الدكتور الكيلاني : « أبو الحسن أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي فيلسوف متهم بالزندقة ، وهو أحد زنادقة الأسلام ، أبو العلاء المعرّي وأبو حيّان التوحيدي ...»

إن انفعالي وامتعاضي لم يخلُ من دهشة واستغراب ، ذلك أنّ المحقّق الفاضل . كما يقول في مقدّمته ، من المولعين بأبي حيّان التوحيدي ، ومن أشد المتتبعين لآثاره حماسة : — « وقد ظللت زمناً أتشوّق للعثور عليها حتى عددت ذلك من أمنيات العمر ، إلى ان قيّض لي القدر أحد المستشرقين وهو السيد مارك بيرجه (Marc Berge) الذي عثر عليها مصادفة ، وكان يعرف مبلغ تعلّقي بأبي حيّان وحرصي على نشر آثاره ... »

ووجه الدهشة والأستغراب في الأمر ، يعود إلى اقرار المحقّق بالولع والحماس اللذين يكنّهما نحو المؤلف وآثاره فالولع والحماس يعنيان الحبّ والشغف ، ومن صفات المحبّ والشغوف ، الدفاع عن المحبوب في مواطن الضعف المحيق به والتهجّم عليه ، والدفاع يستلزم الأنصاف ، والأنصاف يستوجب الصدق ، والصدق يتطلب التحقيق والتشكيك ، والتحقيق والتشكيك

(*) نشر هذا البحث في مجلة (الثقافة) الدمشقية لشهر أيلول ١٩٦٢ .

(١) طبع دار الفكر — دمشق ١٩٦١ .

يكشفان عن جليّة الأمر . ودخيلة الفرد . وواقع الحال . ويزيحان الظنون. ويهتكان الحجب .

فقد آلمني كثيراً أن يدمج المحقق بشرحه ذاك المجرّد من أيّ احتراس أو تحفّظ أبا حيّان في عداد الزناديق في الأسلام،وألمي هذا .ما كان ليقلّ عمّا هو عليه فيما لو كنت من معتنقي دين الأسلام . وإني بكلمتي هذه أدافع عن أبي حيان دفاعاً قوياً مخلصاً كما لو كنت فرداً مسلماً ، فالزندقة في الأسلام هي نفس الزندقة في النصرانية ، ذلك لأنّ العقائد في الأديان السماوية متفقة في الأصول والجوهر . ولاتناقض بينها من جهة وحدانية الخالق والثواب والعقاب والمعاد والنشر . ودفاعي القوي هذا وليد وثوقي الراسخ أنّ أبا حيّان لم يتناول ، في أي كتاب من كتبه ، أصول الأسلام بأيّ نقص او نقض او إبطال . ولو كان ثمّة شيء من هذا القبيل ، لأورده الناقدون والطاعنون بالنّص والغصّ . بيد أنه ليس شيء من هذا .

إني انكر هذه التهمة الشنيعة أن تلحق أبا حيّان ، اذ هي في الحقيقة وليدة ضغائن الحاقدين . وحسد الحسّاد المعاصرين . ومنهم الصاحب ابن عبّاد اللئيم الطبع . الخسيس النفس . كما أنها نتيجة دسّ الدسّاسين من الناقمين على الفلسفة والمنطق . كأبن فارس ؛ وتعصّب المتزمتين وجهل الجهلاء المعاصرين واللاحقين . ولو كان الامر كما يقول المتهمون والطاعنون ظلماً وبهتاناً . لكانت زمرة الزنادقة في الأسلام تمثّل حشداً كبيراً : منهم من سبق أبا حيّان . ومنهم من عايشه ولحقه ، ولكانت الزندقة تُلصق بكل من اشتغل بالفلسفة والمنطق ـ أشرف وأسمى العلوم.وعلى هذا يترتّب أن يحشر في رهط الزنادقة :أبو سليمان المنطقي السجستاني ـ أستاذ ابي حيّان ـ وأبو الحسن محمد بن يوسف العامري النيسابوري المنطقي من أكابر فلاسفة الأسلام ، وأبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجرّاح أحد أئمة عصره في المنطق والفقه . وعلى هذا يترتّب أن يكون شيوخ المعتزلة وأئمتهم

من الزنادقة ، كما يكون أساتذة هؤلاء الأسلاميين من الأغارقة : أفلاطون وأرسطو وغيرهما على رأس الزنادقة من غير المسلمين . بينما الواقع يثبت أن هؤلاء الفلاسفة الأفذاذ اعتقدوا بآله واحد . وهم في صميم البيئة الوثنية المؤمنة بتعدّد الآلهة . كما يجب أن يكون . قياساً على ذلك . كل الفلاسفة والمناطقة المسيحيين والمشتغلين في اللاهوت من الزناديق في النصرانية!

فهل يرضى الدكتور المحقّق الجليل أن يعدّ كلّ هؤلاء في عداد الزنادقة لا اخال ذلك .

قال حسن السندوبي في مقدّمته لكتاب (المقابسات) في معرض الدفاع عن أبي حيّان التوحيدي : « ولا أدري كيف يجيز إنسان لنفسه الطعن في دين امريء ، او رميه بأقبح الشنع دون أن يقيم على ذلك حجّة قاطعة أو برهاناً مبيناً . مع أنّ هذا من أشدّ مايعرض له مسلم في دين الله . وهو من اكبر الكبائر عند الله . وهذه كتب التوحيدي وآثاره . ليس فيها مايشير إلى ضعف في العقيدة ، أما مايُدخل أقلّ شبهة على استقامة الطريقة ، وطهارة القلب من دغل الزندقة أو الألحاد في الدين . وقد وقع الحافظ الذهبي فيما إئتفكه ابن فارس ، وغُرّ به . فقال عن أبي حيّان من غير رويّة ولا خوف من الله : كان عــــدوّ الله خبيثاً ، وكان سيء الأعتقاد . وكذلك ارتطم في هذه الورطة أبو الفرج بن الجوزي . فقال في تأريخه : زنادقة الأسلام ثلاثة ــ ابن الراوندي ، وأبو حيّان التوحيدي وأبو العلاء المعرّي . قال « وأشدّهم على الأسلام أبو حيّان لأنه مجمج ولم يصرّح »

وفي حين يدحض ابن السبكي دعوى الذهبي ويزيّفها ، يقول حسن السندوبي : «أمّا ابن الجوزي ، فليس لنا إلاّ أن نقول : وا أسفاه على تلك العقول التي أُعدّت لخدمة الحقائق ، فأحالها التعصّب حرباً على الحقائق! وا أسفاه على رجال نصبوا أنفسهم لهداية الخلق إلى الطريق المستقيم ، وإبانة محاسن الاسلام ومفاخر الدين . فقطعوا الطريق إلى الله ، وشوّهوا جمال دين الله ! أرأيت كيف يتعرّض ابن الجوزي لما لم يجزه له العقل والدين

ولا الشرائع . فتسرّب في طوايا الضمائر ، وتولّج خفايا القلوب ، واستخرج من سويدات الأفئدة ما أباح له الحكم بأن ابا حيّان كان أشدّ على الأسلام من سواه ! لماذا ؟ لأنّه لم يقل شيئاً ، ولم يصرّح بشيء ! ...الاساء ما يحكمون.

لكن هل صحيح أنّ ابا حيّان لم يقل شيئاً ، ولم يصرّح بشيء ؟ وماذا كان عليه أن يقول أكثر مما قال ، ويصرّح اكثر مما صرّح . وهذه آثاره ناطقة عنه ؟ ! يكفي أن أورد رأيه في الدين والخلق والعلم ، كما جاء في كتابه (مثالب الوزيرين) : « والعمود الذي عليه المعوّل ، والغاية التي اليها المؤمل في خصال ثلاث هنّ دعائم العالم وأركان الحياة وأمّهات الفضائل وأصول مصالح الخلق في المعاش والمعاد وهنّ : الدين والخلق والعلم . بهنّ يعتدل الحال ، وينتهي إلى الكمال ، وبهنّ تُملك الأزمّة ، ويُنال أعزّ ماتسمو اليه الهمّة ، وبهنّ تؤمن الغوايل ، وتحمد العواقب ، لأنّ الدين جماع المراشد والمصالح ، والخلق نظام الخيرات والمنافع ، والعلم رباط الجميع ، ولانّ الدين بالعلم يصحّ ، والخلق بالعلم يطهر ، والعلم بالعمل يكمل ، فمن سلم دينه من الشك واللحاء ، وسوء الظنّ والمراء ، وثبت على قاعدة التصديق بمواد اليقين الذي أقرّ به البرهان ، وطهر خلقه من دنس الملال ، ولجاج الطمع ، وهجنة البخل ، وكان له من البشر نصيب ومن الطلاقة حظ ، ومن المساهمة موضع ،وحظي بالعلم الذي هو حياة الميّت ، وحلي الحيّ ، وكمال الأنسان ؛ فقد برز بكلّ فضل ، وبان بكل شرف ،وخلا عن كل غباوة ،وبريء من كل معابة ،وبلغ النجد الأشرف وصار إلى الغاية القصوى . » — ص ٢١

كما أردف قائلاً : « ولم أذكر لك العقل في هذا التفصيل وهو أوهنّ ، وبه تمّ آخرهنّ ، وعليه مجرى جميع ما افتنّ القول به ، لأنّه موهبة الله العظمى ، ومنحته الكبرى ،وباب السعادة في الآخرة والأولى ص ٢١ و ٢٢ .

لو لم يقل التوحيدي غير هذا القول ، ولم يصرّح سوى هذا التصريح ، لكان ذلك كافياً لمن يروم الحكمَ عليه ، والكشف عن طويّته . أفما كان حريّ بالدكتور الكيلاني ، وهو محقق الكتاب ، أن يتذكّر قول التوحيدي الآنف الذكر . قبل أن يصدر عليه ذلك الحكم الجائر ؟ أيُستشفّ من هذا الكلام زندقة ؟ أيمكن الحكم على صاحبه بالتكفير ؟

مسكين أبو حيّان ! لقد اضطُهد وحورب في مماته كما في حياته ، فذاق مرّ العيش ، وقل أنصاره ، وندر عارفو فضله . وهذا ابن النجّار ، يقول عنه : « كان أبو حيّان فقيراً صابراً متديناً ، وكان صحيح العقيدة .» المقابسات ص ١٦ .-

أما الدكتور عبدالرزاق محيي الدين ، في دراسته عن أبي حيّان التوحيدي(١) فيرى جديراً بالباحث أن يتردد في صحّة نسبة القول في زندقة أبي حيّان لابن فارس ، إذ يظنّ أنه قد طرأ على الأسم الحقيقي شيء من التحريف والتصحيف ، حتى نجد في مؤلّفات أبي حيّان مايدلّ على الجبر المعطّل ، أو الطعن في الأنبياء والشرائع ، أو حتى نقف على نوع الصلة التي كانت بين أبي حيّان وابن فارس ، فيقول : « يبدو من مؤلّفات أبي حيّان أنّ الحال بينه وبين ابن فارس ، كانت على شيء كثير من العداء ، وقد هجاه في كتابه (الأمتاع والمؤانسة) ، ووصفه بأقبح الأوصاف ، محرّضاً عليه الوزير ابن سعدان ، فلمَ لايكون طعنه في أبي حيّان ، صدى تلك الملحمة بينهما ؟ » — ص ٦٢ — ٦٣ .

وابن فارس هذا ، أستاذ ابن عبّاد قبل وزارته ، وصديقه الأثير بعد الوزارة ، عُرف عنه جمود في الرأي ، وكره للفلسفة ، حتّى أنه فضّل عليها علم العروض ، فقال : « علم العروض الذي يربو في قيمته ودقّته واستقامته كلّ ما يتبجّح به الناسبون أنفسهم إلى التي يقال لها الفلسفة : » ص ٦٣ .

---

(١) طبع مكتبة الخانجي — مصر ١٩٤٩ .

أفلا نتوقع من ابن فارس . وهو العليم بمنزلة التوحيدي في الفلسفة ، ومقامه بين أعلامها . وتهالكه في نشرها ، وهو صاحب (المقابسات) ، أن ينال منه ويطعن في دينه وعقيدته . ويحطّ من شأنه ؟ افلا تكون الخصومة وكتاب (مثالب الوزيرين) الدافع الحقيقي للنيل من علم معاصر ، ومؤلّف قلّ ضريبه . وللحطّ من سمعته . وتلطيخ شهرته ، وثلم مكانته ؟

أفما كان الأجور بالمحقق أن يلتفت إلى كلّ هذا ، قبل إصدار حكمه الجائر الوارد في تعليقه المذكور . وكأنّه أحد الذين عاصروا ابن الجوزي وخالطوا وزاملوا أبا الوفاء ابن عقيل البغدادي ؟

انّ الذي التمس من الدكتور الكيلاني هو إزالة هذه التهمة عن أبي حيان التوحيدي . وذلك بحذف اسم أبي حيّان من تعليقه ، موضوع البحث، إذا مايُسِّر للكتاب ان يُطبع طبعة ثانية . وفي الوقت الذي ارى أن إدمساج المعرّي في عداد الزناديق . تهويل ومبالغة وسوء فهم . لايسعني أن أدلــي بشيء عن (الراوندي) . لجهلي التام مذهبه وحقيقته . ألا ان الدكتور عبــد الرزاق محي الدين يرى ابن الراوندي ملحداً لأ قراره بقدم العالم، ولاحتجاجه على الرسل . ولبرهانه على ابطال الرسالة . ولطعنه في النبي ، بينما يقول في أبي حيّان : «كان ابو حيان حنيفاً مسلماً . ماندّ عن شيء من أصول الاسلام العامّة . وتهمته بالألحاد لم تثبت من حال او مقال . لهذا أراني في غنى عـن التدليل على ذلك . ومحيلاً قارئي الى ماانطوت عليه مؤلفاته من روح اسلامي قويّ . أما طعنه في الصحابة والسلف ــ ان صحّ ، ولاأراه صحيحاً ــ فلا يضرّ في جوهر عقيدته الاسلامية .» ــ ص ٧١ .

وختاماً لبحثي هذا . أورد كدليل دافع آخر على ايمان الرجل الراسخ ، وصحّة عقيدته الدينيّة . ماقاله في ختام كتابه (مثالب الوزيرين) : «وأدعوها هنا بما دعا به بعض النسّاك : اللهم صُنْ وجوهنا باليسار ، ولاتبتذلها بالأ قتار فنسترزق اهل رزقك . ونسأل شرار خلقك . فنُبتلى بحمد من أعطى ، وذم

من منع ، وأنت من دونهما ولّي الأعطاء ، وبيدك خزائن الأرض والسماء ياذا الجلال والاكرام .» — ص ٣٦٢

وبهذا الدعاء ذاته قد ختم كتابه المشتمل على رسالة في الصديق والصداقة ورسالة في العلوم ، وهو — كما يلحظ القاريء — دعاء فواح بالايمان والقناعة والرضى . حافل بالرفعة والكرامة ، ومن يدري ، فقد يكون الطاعنون والمفترون انفسهم لم يردّدوا نظير هذا الدعاء في لياليهم ، ولاختموا بمثله مؤلفاً من مؤلفاتهم

لقد صغت بحثي هذا رفعاً لراية الانتصاف للمظلوم ، وخدمة للحقيقة المجني عليها ، وإيثاراً للعرفان على الجهالة والتعصّب ، وجهضاً للزور والبهتان عن الأبرار والطيبين .

* * *

دفاع عن أبي حيّان التوحيدي (*)

طالعت بإمعان بحث الدكتور الفاضل مصطفى جواد . الموسوم (أثر التوثيق والتكذيب في شخصية الأديب) والمنشور في العدد السابع من مجلة (المناهل) الصادر في ٦٤/١١/٨ ، فألفيته صدمة لتأملي ، وخيبة لمبتغاي . إذ بينما كنت أروم الباحث الكريم نصيراً وسنداً ، يؤيد اقتراحي بوجوب تكريم التوحيدي بالنحو الذي ذكرت ، وجدته يلجأ الى التعليل والتحليل ، ويطرق مواضيع ليست خافية عليّ . بل نائية عن التكريم ؛ وهذا يعني ضمناً عدم دعم اقتراحي وتأييد فكرتي . وبينما كنت أتوقع من الدكتور إتيانه على ذكر تحديد موقع (درب الحاجب) من بغداد في القرن الرابع الهجري باعتباره محلة أبي حيّان آنذاك . أراه قد أغفل التطرّق إلى هذا من قريب أو بعيد . فآلمني ذلك وأحزنني وأفعم صدري بالتحسّر . وذلك لأحساسي بأن الدكتور جواد ، على غزارة علمه وسعة اطلاعه ، لم يستطع فيما أبداه أن يكون بمنأى عن آراء القدماء الجامدة من كتّاب السير والتراجم ، ولابمنجى من تأثير المتعصبّين والمتزمتين الذين حكموا على أبي حيّان أحكاماً ظالمة . ونعتوه نعوتاً مشوّهة . فاستشهد بآرائهم بدون تمحيص ، وأهمل أقوال المدافعين عنه والذين أنصفوه . وضرب صفحاً عن آثار أبي حيّان التي تنفي عنه الزندقة التي رمي بها ظلماً وبهتاناً . وددت لو أنّ الدكتور جواد عالج الموضوع بمرونة اكثر في الرأي . لهذا وجدت لزاماً عليّ أن أنبري للدفاع عن هذا الأديب الألمعي الموسوعي الذي يبدو أن النحس مابرح يلاحقه حتى القرن العشرين . وبعد ان أبليت عظامه – مع مزيد الاسف . وإني إذ أعتذر عن التأخير في التعقيب ، فالأسباب قاهرة .

(*) كتب هذا البحث في ٦٤/١١/١٠ على أن ينشر في مجلة (المناهل) . لكنها احتجبت فتعذر ظهوره . ثم نشر في مجلة (الأقلام) البغدادية – أيلول ١٩٦٨ .

قال الدكتور جواد في بحثه : «. . .) كان متهماً بالكذب والتوليد واختراع الأخبار ، وميّالاً الى الانتقاص من شخصية الأمام علي بن أبي طالب (ع) في عهد دولة شيعية هي دولة بني بويه كما يُفهم من المراسلة الحادة التي ابتدعها بين أبي بكر (ر) وعلي (ع) .

اما الدكتور الفاضل عبد الرزاق محي الدين ، في كتابه عن التوحيدي ، فقد عالج موضوع التهم المنسوبة إليه علاجاً منصفاً ، بأن أورد حديثين نبويين ، قال عنهما ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) إنّ في احدهما تحريفاً ، وفي الآخر زيادة ، لكنّ أبا حيّان لم ينفرد بذلك . قال الدكتور محي الدين : «هذان الحديثان كلما عثرت به في تهمة أبي حيّان بالتحريف لأحاديث نبوية . وقد رأيت أنّ أبا حيّان لم ينفرد بهذه الزيادة باعتراف صاحب (لسان الميزان) . وأقصى مايدلّ عليه كلامه أنّ أبا حيّان روى الحديث على وجه غير مقبول لدى ابن حجر ، وذلك شيء غير الوضع وغير التحريف مادام لم ينفرد به . . وإنما يكفيني من ذكر ماأوردت أنّ هذه الرواية ، بعدما ثبت من عدم انفراد الرجل بها ، لاتتضمّن تهمة خاصّة به .» — ص ٨٤ . وهنا أتساءل : ألايجوز أنّ التوحيدي عثر على الحديث بالشكل الذي نقله هو نفسه ؟

أمّا الرسائل المتبادلة بين أبي بكر وعمر وعلي بعد حادث السقيفة واتهامه بابتداعها ، فاني أميل ميلاً شديداً إلى رفع هذا الأتهام الظالم عنه لأسباب عديدة ، منها ؛

(أولاً): إنّ كتاب (البصائر والذخائر) الحالي لايورد نصاً لهذه الرسائل ، وحتى لو فرضنا ورودها في الجزء المفقود من الكتاب المذكور . فلايصحّ لنا الصاق التهمة ، إستناداً الى هذا الافتراض ، الا إذا طالعنا نص الرسائل بأنفسنا ، فاستوثقنا من نصوصها كما ذكرها ابن أبي الحديد في (شرح النهج) . فكلام ابن أبي الحديد لايصحّ أن يركن إليه ركوناً تاماً ، إذا توخينا

الحكم العادل . لاسيّما وابن أبي الحديد في هذا المجال يرجح ولايقطع قطعاً باتاً . كما أنّ السندوبي . في مقدمته لكتاب (المقابسات) لم يعتمد أي دليل في إيراده الرسائل المتبادلة باسنادها الى التوحيدي في (البصائر والذخائر) . ممّا حدا بالدكتور محي الدين أن يقول :

«فان النص غير منسوب صراحةً الى كتاب (البصائر والذخائر) في جميع النصوص القديمة وخاصّة (محاضرات الأبرار) الذي نقل منه النص المقول .» — ص ۱۰۳ .

(ثانياً) : إنّ (صبح الاعشى) و (محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار) لابن العربي ، لم يذكر مصدر نقل الرسائل . وهناك مخطوط آخر للرسائل في مكتبة الأسكندرية ، يتهم صاحبُه كاتب النصّ بالوضع بدون ان ينسبه إلى التوحيدي — ص ۸٥ من كتاب عبد الرزاق محي الدين .

(ثالثاً): إذا افترضنا صحة ورود نصّ الرسائل في الجزء المفقود من(البصائر والذخائر) للتوحيدي ، لاحظنا إسناده ولجوءَه الى التواتر . فقال : «سمرنا عند القاضي أبي حامد ليلةً ببغداد بدار ابن جيشان في شارع المديان . فتصرّف بنا الحديث كل متصرّف ألخ . . فقال : هذه الرسالة رواها عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أبي عبيدة الجرّاح . قال أبو عبيدة الجرّاح . . . »

فعلى اي اساس ، يحق لنا الأدعاء بأنّ أبا حيّان مختلق الرسائل وواضعها؟ ومااللذي يمنع تصديقنا كلام أبي حيّان في إسنادها والأطلاع عليها عياناً ، إذ قال «روى لنا هذا كلّه أبو حامد ، ثم أخرج لنا أصله ، فقابلناه به ، فما كان غادر منه إلا مالابال له . فأمّا ماروواه لنا أبو منصور الكاتب ، فانّه خالف في أحرف في حواشي الكتاب ، كلّ حرف بازاء نظيره الذي هو مبدل منه ، وقد كان أبو منصور بلغه العرب أبصر وفي غرائبها أنفذ . وانما قدمت رواية أبي حامد لأنه بشأن الشريعة أعلم ، ولأعاجيبها أحفظ . وفيما اشكل منها أفقه . » — ص ۱۰۳ من كتاب عبد الرزاق محي الدين .

إني أرفع تهمة الاختلاق الشنيعة هذه عن أبي حيّان . مستدلاً بقــول التوحيدي ذاته : «وإنّما قدّمت رواية أبي حامد ...الخ...» وبقول المرحوم محمد كرد علي : «وبعيد أن يضع التوحيدي هذه الرسالة وهي بعيدة عــن أسلوب كلامه . وإن أحبّ ابن أبي الحديد أن يشبّهها به . أمّا التوحيدي . فقد رواها عن رجل معروف كان يحفظها . فالدلائل كلّها قائلة بأنّ الرسالة ليست من وضع أبي حيّان . وأنّها كانت معروفة قبله . وإذا أبى بعضهــم إلاّ أن يقول إنّها كانت موضوعة كلّها أو بعضها . فيكون ذلك قبل عصر التوحيدي بكثير.» –أمراء البيان ج٢ ،ص ٥٣٦ – ٥٣٧ . كما أستشهد برأي السندوبي القائل : «...فالظاهر أن الواضع لها غيره . وليس له فيها إلاّ الرواية على طريقته وأسلوبه.» مقدمة (المقابسات) – ص٤٠ – ٤٢ .

والملاحظ في هذا الصدد أنّ لهذه الرسائل نصوصاً أخرى كانت في حوزة أبي منصور الكاتب ، كما ذكر التوحيدي نفسه آنفاً . ويؤسفني ألاّ أعلم شيئاً عن شخصية أبي منصور هذا ، ولعلّ الدكتور جواد يلمّ بشيء عنه. وسؤالي هنا : مَن مِن معاصري التوحيدي ولاحقيه يحمل عين رأي ابن أبي الحديد بأكمله ؟

ومن الجدير بالذكر رأي الدكتور عبد الرزاق محي الدين القائل : «إنّي من رأي ابن أبي الحديد في صدق تمثيلها لما كان عليه حال القوم جملةً وصدق تمثيلها لنفس كلّ من أبي بكر وعمر وعلي على انفراد أثناء حــادث السقيفة . ومن رأي صاحب «النثر الفنّي» – المرحوم زكي مبارك – في دنوّها ممّا كانت عليه أساليب القوم . ولو لم يعلن أبو حيّان روايتها بالنصّ لما كانت بعيدة عن نظائرها مما رواه بالمعنى ، فإنّ بالرجل قابليّة خارقة على تقمّص الأساليب والنفوس .

أمّا وقد أعلن روايتها عن غيره بالنصّ والحرف ، فإن اتهامه بوضعها يحتاج إلى دليل قوي ، لم يتهيأ لي فيما قرأت من أدلّة ابن أبي الحديد عــلى

وجه اليقين . وإن الشريف الرضي ، بما هو واقع ومعروف ، لم يجمع كلّ ماأثر عن الامام علي (ع) ، بل اختار الغرر والحجول من كلامه ... وإنّ إهمال متكلمي السنّة والشيعة لها قد لايرجع إلى عدم الوثوق بصحّة ماورد فيها ، ولكنه يرجع إلى عدم انتفاع كل طائفة على وجه لايفيد منه الجانب الآخر ... والخصائص الأسلوبية التي قدّرها ابن أبي الحديد لرجال الصدر الأول ، لاتزال بعد محلّ نظر وفي حاجة إلى تمحيص وتدقيق...» — ص ١٠٩ — ١١٠ .

نرى مما تقدّم أنّ حكم الدكتور مصطفى جواد على أبي حيّان أنّه كان ميالاً للأنتقاص من شخصيّة الأمام علي (ع) حكم ضعيف ، لايستند إلى دليل قوي جازم ، حتى لو استشهد بنصوص الرسائل المتعلقة بحادث السقيفة إلا إذا استطاع البحّاثة الفاضل إيراد نصّ أو نصوص أخرى . فقد رجعت إلى كتابه (البصائر والذخائر) ، وطالعت متمعناً ما أورده من أقوال علي (ع) وشروحه عليها ، فلم أرَ في أي منها طعناً أو انتقاصاً .

لقد اقتبس الدكتور جواد ، بدون تمحيص أو تشكيك أو تعليق ، قول ابن الجوزي المنقول عن نصوص سابقيه ، والمنسوب أصلا الى ابن فارس في أبي حيّان : «كان كذّاباً قليل الدين والورع . ووقف الصاحب بن عبّاد على بعض ماكان يخفيه من ذلك ، فطلبه ليقتله ، فهرب والتجأ الى أعدائه ونفق عليهم بزخرفة كذبه ، ثم عثروا منه على ذلك ، فطلبه الوزير المهلّبي فهرب منه ومات في الأستتار .»

استطيع دحض هذه المفتريات على أبي حيّان ، مستشهداً برأي الدكتور محي الدين القائل : «... عبارة النص تشتمل على أمور تخالف الحقائق التأريخية الثابتة لحياة أبي حيّان . وبَعيد على رجل مثل ابن فارس علماً ومعاصرة أن يقع في الأغلاط التأريخية . فمن ذلك أن النصّ صريح في أن الوزير المهلبي طلب أبا حيان ليقتله بعد عودته من ابن عباد ونحن نعلم انه عاد من ابن عبّاد سنه (٣٧٠هـ) كما نعلم أنّ الوزير المهلّبي توفّي باجماع المؤرخين سنة (٣٥٢هـ) .فكيف

يزعم ابن فارس أن الوزير المهلّبي طلب أبا حيّان بعد عودته من ابن عبّاد ؟ ومنها أن النصّ المنسوب لابن فارس يشتمل أيضاً على دعوى وفاة أبي حيّان في الأستتار . ومعنى هذا انه توفّي وابن فارس لايزال حياً . ومن المعلوم أنّ ابن فارس توفّي قبل أبي حيّان بأعوام كثيرة . فكيف يقبل نصّ على وفاة أبي حيّان من شخص توفّي قبله ؟ » — ص ٦٢

ويرى الدكتور محي الدين أنّ نصّ الأتهام ذاته الموجّه الى ابي حيّان يستحق الأتهام الا اذا وجدنا في مؤلفاته مايدلّ على الجبر المعطّل أو شيئاً من الطعن في الأنبياء والشرائع . فهل يستطيع الدكتور الفاضل مصطفى جواد إيرادَ شيء من هذه المطاعن لنقرّه على ماذهب إليه كما ذهب سابقوه بقرون؟! لاأخال ذلك في وسعه، إذ لوكان ثمة شيء من هذا القبيل ، لأورده بالنص والفصّ . ولعمري كيف يمكن أن يكون صوفيّ ، بل شيخ الصوفية، ملحداً زنديقاً ؟ ؟

أما أبن الجوزي، المشهور بالتعصّب الذميم ، فقد استوحى رأيه ، القائل بزندقة أبي حيّان من كتب أبي الوفاء بن عقيل البغدادي الذي كان في أوّل عهده نصيراً للصوفية ، ثم ، أنقلب عليهم عند تعرضه الى الخطر . فكتب ابن الجوزي شاهدة على تعصّبه على أهل التصوّف ، وتشديد النكير عليهم ،وشتمه الجارح لمخالفيه في الرأي والمذهب حتى اذا لم يمتّ الخلاف الى الأسلام أصلا .وقد دافع السندوبي عن التوحيدي . وشجب اتهام ابن الجوزي .

وقد أوردت دفاعه هذا مع دفاعي الشخصي في مجلة «(الثقافة) الدمشقية لشهر أيلول ١٩٦٢ .وأزيد في هذا المجال دفاع الدكتور محي الدين، اذ قال: «وكان بودّنا أن يفصح ابن الجوزي عن تلك الاراء في مؤلفات أبي حيان ، فيكشف مافيها من زيغ ومروق . ولكنه أيضاً مجمج ولم يصرح ، فلم نتبين وجه التكفير لأبي حيان على صورة واضحة ... وخلاصة القول ان مجرحيه بين مشكوك في نسبة تجريحه أو مطعون في قصده وغرضه أو مشايع انساق بحكم تقليده

أو بغضه للفلاسفة والمتصوفة . وليس في الفلسفة أيا كانت والتصوف أيا كان مايحملنا على قبول طعنهم في أبي حيان لأنه فيلسوف ومتصوف .» — ص ٦٨ وهذا رأي وجيه جداً .

وهناك نصوص قديمة كثيرة تؤيد توثيق التوحيدي . وتحكم له بالتأله والتدين ، أستغني عن ايرادها تحاشياً للأطالة . منها نصّ ياقوت القائل : «والناس على ثقة في دينه .»

في هذا الصدد أعرض أني طالعت في (البصائر والذخائر) نصاً لرابعة العدوية . ساقه التوحيدي . يقول : «قيل لرابعة — وكانت ناسكة مفوّهة ، وشأنها شهير وأمرها خطير — كيف حبك لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم قالت : اني أحبه . ولكن قد شغلني حب الخالق عن المخلوق . » — ص ١٦٤ فأحببت أن أقف بنفسي على صدق أبي حيان في ايراد هذا القول ، فأقتنيت كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي عن (رابعة) ، فوجدت النص مطابقاً في الجوهر ، واختلافه الضئيل في الحرف ليس بذي بال : «... فقالت : والله إني لأحبه حباً شديداً ، ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين» —ص ١٢٢ . فأيقنت من صدق التوحيدي ، وأمانته في النقل . أما تعليق أبي حيان على قول رابعة ، فهو : «هذا الكلام عويص التأويل ، خرط القتاد دونه . ولقط الرمل أسهل منه ، وهي موكولة فيه الى الله تعالى ، وقد رويته كما رأيته. » — ص ١٩٦ . هل هذا كلام زنديق ؟ !

أما «سخافة اللسان» التي أطلقها عليه ياقوت ، فأعتقدها من قبيل المغالاة اذ لايمكن ان يكون الشخص متفلسفاً وفيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة سخيف اللسان في ذات الحين ، وأرجح أنهم وصموه بذلك للمجون الذي يبلغ حد الفحش أحياناً ، والذي بثه التوحيدي في بعض مؤلفاته : (الأمتاع والمؤانسة) و (البصائر والذخائر) ؛ وللتهجم المقذع على بعض خصومه كما في (مثالب الوزيرين) . أما المجون ، فقد برره أبو حيان بحجة دفع السأم

والملل بعد الأمعان في الجد . وبقصد تجديد النشاط الذهني بعد الكلال والأرهاق .

وهذه الصفة يجب الا تقلل من شأن الرجل . كما ان اتصاله بالوزير ابن سعدان العارض الموصوم بالظلم والطغيان ممـا لاينبغي ان يؤثر في مكانـة الرجل في مجال الفكر والقلم. فالمتنبي الذي عايش واتصل بكافور الأخشيدي النميم الصفات، لم تنحط منزلته، ولم يُحرم من التكريم لمخالطته كافور واني اذ أويد رأي الدكتور جواد في أن التوحيدي مؤلّف حكاية (أبي القاسم البغدادي) الحافلة بصفوف المجون والتهتك والأسفاف. وقد أيدت ذلك سابقاً في مجلة (المعارف) البيروتية — عدد حزيران ١٩٦٢ — فهي لايمكن ان تكون من أختراع التوحيدي. نظراً للاشعار الواردة فيها، إذ لم يؤثر عن التوحيدي أنه قد نظم الشعر، بل لا بد من راوية قد رواها له فأسندها اليه، تخلصاً من تبعيتها والتماساً لبعض الكسب المادي من ورائها وهي على كل حال تصور واقع البيئة والمحيط في زمانه. حتى هذه (الحكاية) لاتحط من مقام الرجل سابقاً ؛ مادام قراؤها لم يعرفوا ان التوحيدي صاحبها. ولا يجب أن تقلل من شأنه حاضراً — بعد ان عرف الدكتور مصطفى جواد صاحبها — إذا اعتبرنا تآليفه الاخرى الرفيعة.

أما رأي الدكتور جواد في إحراق كتب أبي حيّان، القائل: «وكأنه اكد التهمة على نفسه باحراقه تآليفه وتصانيفه...» فلو فرضنا ان في بعض كتبه ماحمله على اتلافها وإحراقها. لتبادرت الى الذهن الاعمال الأخرى مثل «الاشارات الالهية» و«المقابسات» وغيرهما. فلماذا أحرقها كذلك؟ ان كتاب «الاشارات الالهية» وحده خير شفيع لابي حيان يوم الدين. وان كتاباً سامياً كهذا ، لايعقل ان يكون منشئه زنديقاً ولا طاعناً في الدين ولا ملحداً ولا سخيف اللسان. ولو لم يكن للتوحيدي سوى هذا الكتاب و(المقابسات) لاستحق كل تقييم وتثمين وتكريم في القرن العشرين الذي

يشينه تقبل تهجم المتعصبين على علاتها ومثالبها بدون تمحيص وتدقيق. ولم أجـــد عبارة أختم بهـــا بحثي ، أفضل مـــن عبارة أبي حيان اذ قال :
«وما أحوج الناظر للدين الى حسن الظن واليقين، و الى متن فيه متين. فانه متى حاول معرفة كل شيء بالرأي والقياس ، كلَّ وملَّ. ومتى استرسل مع كل شيء، زلَّ وضلَّ والاعتدال بينهما الجمع بين الرأي والأثر والقياس والخبر مع التخفف الى مابان وأشرق والتوقف عما أبهم وأغلق
البصائر والذخائر — ص ٨٢.

فهل يعد صاحب هذا الكلام زنديقاً ملحداً سخيف اللسان، أم مؤمناً واثقاً رصين اللسان؟ وهل كان التوحيدي منفرداً في إحراق تآليفه؟

لقد آن لنا ان ننفض عنا ماعلق بنا من غبار التعصب الذميم، ونتحرر من قيود آراء الأولين الضيقة المتزمتة. وننصرف عن رواسبها؛ وحريٌّ بنا أن نتحلى بالانصاف وتقدير أصحاب الفضل والفنون، وأهل العلم والمعرفة الراحلين المظلومين — والتوحيدي أحدهم.

رَبِّ اشهد أني ناديت عالياً بتكريم أبي حيّان التوحيدي.

لحظات مع أبي حيّان التوحيدي *

كان الربيع البهيج النضر الدافىء في حلة قشيبة، يستحث الخلائق على اللجوء إلى الخلوات والبراري والحقول والبساتين، فكنت ممن استجاب لنداء فتى الفصول الخلاب الظريف، ذلك النداء الجهوري بصمته، العنيف الذي لاتقاوم طاقته. وكان رفيقي وزادي كتاب «الامتاع والمؤانسة» لابي حيّان التوحيدي.

فمنذ امد ليس بالبعيد، وهذا المؤلف الفذ الذي نَدَرَ قرينه، وغُمِط حقّه، وخمل ذكره، أخذت شخصيته وآثاره وسيرته تهيمن عليَّ هيمنة قل نظيرها ممّن حملوا مشاعل الأدب والفكر والعرفان من الخالدين القدامى، فكثيراً مايعنّ لي، وأنا في خلوة، وغالباً مايخطر فيَّ الخاطر وأنا في جلسة تأمّلية؛ بل كثيراً ماتطرقني صورته وأنا مكبّ على عملي، أو متناول طعامي أو مداعب أولادي. فهو ممن يعتري الغموض بعض نواحي حياته، ويساور الأشكال والشكوك قسماً من تآليفه.

يممت شطر حديقة هادئة، مشرئبة على دجلة المنساب وئيداً، وركنت الى أشجار وشجيرات مزهرة عبقة، فخطر لي قول مجير الدين في زهر اللوز:

أزَهرَ اللوز أنتَ لكلّ زهـــرٍ ... من الأزهار يأتينا إمـــام

لقد حَسُنَت بك الأيام حتـــى ... كأنك في فـــم الدنيا ابتسام

وبعد قسط من المطالعة، ألفيتني أستعرض بعض شؤون وشجون أبي حيّان أبان حياته العسيرة المحفوفة بالمشاق والخوف والأهمال، أنفقها في بغداد وشيراز، فتراءت لي بعض المشاهد التي ذكرها في تآليفه، والتي عرضتها المخيلة مهتدية ببعض القرائن والدلائل والحدس، ولاح لي بزيّه الصوفي ذي الجبّة الفضفاضة، ذات الأكمام الواسعة، والعمامة وقد علاها

(*) مقال نشر في مجلة (المعارف) البيروتية الصادرة في حزيران ١٩٦٢.

بعض النمس .وتدلى من أسفلها شعره الفاحم وقد خالطه الشيب. وبدالي في غرفة وضيعة . تتوسطها بارية خلقة . عليها منضدة صغيرة خشبية واطئة مضعضعة زوراء عليها دواة ويراعة وقراطيس مبعثرة، وبحذائه بعض الكتب والمجلدات السميكة. بعضها على بعض أو متراص إلى بعض، يعلوها سراج صغير وفي كوّة دانية قنديل ينوس .وكأني شعرت احاوره ويحاورني فاستفهمه عن الملتبس من القضايا . وأتغلغل في المستور من وقائع حياته ، لعلّه ينقع غلّة . ويشبع فضولاً عانيتهما ردحاً ، بمثل هذا الحديث المسهب الصامت التخيّلي : —

قال : من تكون ؟ ماشأنك وقد ولّت مطوة من الليل ؟

قلت : دعك عمّن أكون . أمّا شأني ، فلست — والله — أدري . . . .

ألفيتني سالكاً درب الزعفراني(١) ، فتوافد إلى سمعي صوت نسائي رخيم . يقبل من بعيد ، يمازجه رنين العود الرشيق ، منشداً:

لست أنسى تلك الزيارةَ لمّا	طرقتْنا وأقبلت تتثنّى
طرقتْ ظبية الرصافة ليلاً	فهي أحلى من جسّ عوداً وغنّى
كم ليالٍ بتنا نَلَذُّ ونلهو	ونُسقّى شرابنا ونُغنّى
هجرتْنا فما إليها سبيلٌ	غير أنّا نقول : كانت وكنّا

فسألت عطّاراً عن صاحبة الصوت الشجي ، والأيقاع المطرب ، فأجاب: «تلك — حفظك الله — درّة جارية أبي بكر الجرّاحي» فلمع في ذهني إذ ذاك أنكَ ذكرتها وشعرها في كتابك الذي حاضرتَ به الوزير الشهيد ابن سعدان أربعين ليلة فقلت في نفسي : عليَّ أن أعرّج عليك ، فبي رغبة ملحّة لملاقاتك والتحدّث اليك . إذ كثيراً ماخطرتَ على بالي ، وزرت خيالي رغبَ اطلاعي على آثارك وسيرتك . فبان لي مابان من أمرك وحالك ، وأغلق ماأنغلق عليَّ من ظروفك وأعمالك . فظننت أنّه ينبغي عليَّ التفتيش

(١) من محلات بغداد القديمة أيام العباسيين .

عنك في درب الحاجب(١) . أو درب الرواسين(٢) . فلما سألت عنك الأسكاف والقصّاب والعطّار والخبّاز . مااستطاع أحدهم أن يدلّني عليك. أو يرشدني إلى منزلك . حتى يسّر الله لي ورّاقاً بعد غروب الغزالة . حاملاً فانوسه باليسرى ، وقراطسيه باليمنى ، فأفادني أنك في ركن من درب الحاجب .

قال : أهلاً بمقدمك . قل مابدا لك .

قلت : إني أجهل عنك أشياء جمّة . فجئتك الليلة كي تشفي غُلّتي . وتصرفني قانعاً ، مستوعباً كل شيء عنك .

قال : هات

قلت : ماتدوّن الآن ؟

قال : انقّح رسالتي في (علم الخط) ، كما أدوّن أصول بعض ماسمعت من يحيى بن عديّ (٣) ، وأبي الحسن الرّماني (٤) ، وأبي سليمان المنطقي وسواهم ، لأولّف من ذلك كتاباً يوسم بالمقابسات .

قلت : المرجّح أنك ألفت (المقابسات) نائياً عن بغداد . بعد اختفائك إثر مقتل الوزير ابن سعدان ظلماً . فكيف أراك ، وأنت في درب الحاجب ، تدوّن أصول المقابسات ؟ ! أحقاً أنت في مدينة السلام أم في شيراز ؟

قال : أنا الآن في الأبدية ، وان كنت تراني الساعة في مدينة السلام . فمردّ ذلكإلى أمور لاتدركها الآن. أمّا شيراز ،فقد بارحتها منذ انعتقت روحي ، فما عادت راغبة في الأوبة اليها . نفسي مشتتة

---

(١) محلة أبي حيان أثناء إقامته ببغداد .

(٢) من محلات بغداد القديمة في عهد التوحيدي .

(٣) منطقي فيلسوف ، إليه انتهت رئاسة المناطقة في بغداد في زمانه . وكان نصرانياً يعقوبي النحلة .

(٤) أحد مشاهير الأئمة في مختلف العلوم . وكان متكلماً على مذهب المعتزلة .

بين منزلي في العالم الأخروي ، وبين داري في درب الحاجب . فأنا بغدادي . وشوقي اليها لن يُعدم حتى تقوم القيامة ، ويحين النشر . ويفنى الفتيان .

قلت : ماوجه تكنيتك بالتوحيدي ؟ أهي نسبة إلى تمر (التوحيد) الذي كان يبيعه أبوك أم جدّك ببغداد ، كما يزعم البعض ؛ أم نسبة إلى (أهل الدين والتوحيد) ، كما في عرف المعتزلة ؟

قال : أمّا تمر (التوحيد) ، فوالدي ما تعاطى هذا الصنف وحده ، بل مع سائر أنواعه البغدادية والبصريّة ، كما كان يبيع الدبس . فلم طغى (التوحيد) على الباقي ؟ لا أدري ! لكنّها نسبة إلى (أهل التوحيد) المعتزليّة ، وقد لحقتني للتمييز عمّن سبقني من حملة كنيتي كالبصري وغيره . إني أحيلك إلى المقابستين الأربعين . والثالثة والستين . فقد أتيت فيهما على ذكر (التوحيد) ، وآنذاك ستفقه .

قلت : ماقولك في حكاية (أبي القاسم البغدادي) ؟

قال : ماشأنها ؟ (واطرق استحياءً)

قلت : قدكثر المقال حولها مؤخراً

قال : كيف ؟ ويبك !

قلت : طه الحاجري في مقدمته لكتاب الجاحظ (البخلاء) قال إن مؤلّفها ممّن تأثّروا بأساوب الجاحظ . لكن مصطفى جواد ذكر في بحث له (١) أن مؤلّف قصة (أبي القاسم البغدادي) هو أبو حيّان التوحيدي ، مستشهداً بدلائل مقنعة من كتابك الممتع المؤنس (الأمتاع والمؤانسة) وبشواهد أخرى .

---

(١) منشور في مجلة (العرفان) – عدد آذار ونيسان ١٩٥٥ – خاص بالعراق .

قال : ويحك ! وأنت ، ما رأيك ؟

قلت : أنا أؤيد رأي الدكتور مصطفى جواد . فقبل أسابيع ، إطّلعت بنفسي على النسخة المصورة لهذه الحكاية في المجمع العلمي . وأيقنت أن أسلوبها أسلوبك ، بل أنّ بعض سطورها وأغانيها مذكور بالنّص والغصّ في «الأمتاع والمؤانسة» .

قال : ويحك ! لقد انكشفت سوءتي . وهتك حجابي هذا النابه الذي تدعوه مصطفى جواد – سامحه الله ! أحتى بعد مماتي أضطَهد؟!

قلت : لا عليك يا أبا حيّان ! لكن انبئني : لمَ تقنّعت باسم مؤلِّفه المستعار (محمد أحمد بن أبي المطهر الأزدي) ؟

قال : أما ترى فيه المجون الخليع ، والسباب المقذع ، والأسفاف الوضيع ، والتهتّك السافر ؟ كيف تأمل أن أنسبها إليّ ، وأنا صاحب القلم العفيف ؟! أمّا الأزدي هذا ، فهو الذي روى لي الحكاية عن أبي قاسم فصغتها بأسلوبي ونَسبتُها إليه .

قلت : بل لك فضل نقل الصورة التي هي مصداق واقع الحال في بيئتك .

قال : ولو : فهذه الحسنة تتلاشى أمام تلك المثلبة .وقد يعدّ بعض الملأ أنّ ما ورد فيها من نسج الخيال وتزويق المقال ، وتزوير الواقع وتزيينه . وافتعال الأنفعال لدى الرجال والنساء من الخواص والطغام .

قلت : ويحكَ من هؤلاء ، وتلك المجون في «الأمتاع والمؤانسة» ؟! ما تقول فيها ؟

قال : تلك – بصرّك الله – سررتها بألحاح من الوزير .

قلت : ما أدامك هذه العشية ؟

قال : (بعد أن مطّ شفتيه ، وهزّ رأسه) : بنجرة مسلوقة ، منقوعة في الخل والدبس مع الثوم المثروم والمعدنوس ... وكسرة يابسة . أخجل أن أدعوك للمشاركة !

قلت : هل صحيح ما ذكرتَ أنّك كثيراً ما كنت تتأدّم بالبقول اليابسة والطريّة ، وأعشاب البراري ونباتات الحقول ؟

قال : أجل؟ أو تظنّ خلافاً؟!

قلت: كاتب سيرتك ، المعاصر عبد الرزاق محي الدين، يقول كان شأنك كثر التشكي والتبرّم، والسرف في التظلّم والتباكي والاستبكاء إلى حد غدا ذلك عادة لك ، وهو شيء مبالغ فيه.

قال : سامحه الله !له بعض العذر .فهو لم يفتت مثلي على «أذن الخروف»(١) والخبازي وكراث ابر وغيرها من الأعشاب . ولاهو نظر إهابي المتسخ لندرة اغتسالي في حمام الرواسين بسبب من ضيق ذات اليد ولا وقع بصره على خفي الممزق الضاحك . أنظر حواليك ، تدرك بؤسي ودوقعتي .

قلت : أصدّقك . ماأكثر توجّعي عليك !

قال : حُرمت المتوجعين والمواسين في حياتي ، فما جدواي منهم في مماتي ؟ !

قلت : إنما الأنسان ذكره الثاني . وأنت الان في غنى عن الأنتفاع . لقد أنصفك الكثيرون من جيلنا الحاضر ، والأعلام تقرّ لك بالفضل والباع والأصالة ، وتحلك المحلّ اللائق بك بين زمرة النوابغ وجمهرة الفطاحل والخالدين .

قال : هذا حسن . الحمد لله خالق العباد ، وباريء ، الأكوان . لكن مابال الأولّين غمطوا حقي وهدروه وتجاهلوا منزلتي ، وفضّلوا مقامات بديع الزمان ،والحريري ورسائل ابن عبّاد ،وسجع ابن العميد ؟

قلت : لك قسط من حق . فهذا «زهر الآداب» وعداه ، خلوٌ من أيّ أثر من تصانيفك الراقية ، كما لهم بعض العذر بسبب حرقك

(١) بقلة معروفة ما زالت حتى اليوم ببغداد . تنبت ربيعاً .

تآليفك قبل مبارحتك الدار . وهجرك بغداد . والعيش في شيراز عيشة النكرات والمغمورين . فلو أنفقت آخر عمرك في الزوراء . لما قضيت غريباً مجهولا . ولما غدتْ تآليفك منسيّة طوال قرون.

قال : يبدو أنك على قسط وافر من الصواب . لكن بقائي في بغداد كان محفوفاً بالمهالك . أمّا حرقي الكتب . فإنيّ ...

قلت : لاتحاول تبرير فعلتك ! ومهما كانت أعذارك ، فقد كنت قصير النظر ، وأنت مذنب بحقّ نفسك وحق الأدب عليك .

قال : ويحك ! لا تكن قاسياً !

قلت : القسوة في موضعها رحمة وإنصاف .

قال : ....

قلت : لماذا لم تتزوّج ؟

قال : وفيت شبابي حقّه من المتع واللذات ، وقضيت أوطاري من جارية كانت لي ردحاً . أمّا اقتراني ، فلم يكن في صالحي ، ولا في صالح التي ترضاني بعلاً ، وأنا بتا سومتي ولبوس الدراويش . كنت بحاجة إلى الأستقرار بعيداً عن النساء والولد .

قلت : كأني بك لا تنوي مبارحة هذه الخربة في درب الحاجب ؟

قال : النفس في عالمها الأبدي ، تشتاق إلى بعض مواطنها في دار الفناء ، وغالباً ما تزورها زورات خاطفات ؛ فليس ثمّة ما يعيقها . إنّهـا طليقة مجنّحة ، وما أكثر ما حامت على ضفاف دجلة ، وزارت موقع «بين السورين» (١) في صوب الكرخ ، وحلّقت فوق درب السلق (٢) وباب الطاق (٣) . نفسي كثيرة التحنان إلى هذه المواطن

(١و٢و٣) من محلات بغداد الشهيرة أيام العباسيين .

حيث مراتع اللهو والشباب الماتع ، وذكريات التقابس والتحاور والتناظر المجدي . وحيث جرت الوقائع الجسام . ووقعت الأحداث العظام .

قلت : هل شهدتَ منظر نهر السلام لمّا سال دماً ، وعامت عليه أكـداس المجلّدات والأسفار والكتب في عهد هولاكو الباغي الجائر ؟

قال : أجل . مشهد مروّع بهمجيته ، مبكٍ بفظاظته .

قلت : أفما تدلّني على مقامك في شيراز ، وتطلعني على أحوالك فيها ؟

قال : تلك أيّام نكد وتنغيص . لا تذكّرني بها ، بالله عليك !

قلت : لكنّها فترة ولود حافلة ، ألّفت فيها أكثر آثارك البارزة .

قال : الصواب ما تقول . فإذا ذاك كنت قد يئست من كل مطمح ، وأفلست من كل رجاء . فسادني الأستقرار ، وهيمن عليَّ الهدوء والاطمئنان ، ممزوجين بمرارة اليأس ، واستسلام الأنكسـاف . وذلّ الخيبة .

قلت : أودّ أن أستوضح بشأن كتابك (المحاضرات والمناظرات) : لمـن ألّفته ، للدلجي أم للمدلجي ؟

قال : للمدلجي — أبي القاسم المعمّر بن الحسين — في شيراز . سامح الله النسّـاخ !

قلت : هناك كتاب موسوم : (الحج العقلي إذا ضاق القضاء عن الحـج الشرعي) ، منسوب إليك . فما تقول ؟

قال : عفا الله عن ياقوت الحموي . كيف يعزي هذا الأثر إليَّ بدون تحقيق وتيقّن . يلوح أنّ هذه النسبة اللعينة هي التي حدت ببعـض الخلق أن يدمجني في عداد المتزندقين .

ماهذا التجني ؟! كيف أدعو لهذا وأنا نفسي حججت ماشياً عام ٣٥٢ ؟!

قلت : أنت ملوم لهوان شخصيتك واستخذائك في الطلب ممّن هم دونك علماً وذكاءً وغزارة اطلاع .

قال : أدركت هذا بعد فوات الأوان . وأقرّ بضعفي وخذوئي .

قلت : فما تقول في اتهامك من قبل بعضهم بالزندقة والطعن في عقيدتك ؟

قال : هذا حاصل مقت ابن عباد لي ، وكره ابن فارس للفلسفة والتصوف والتعصب الأعمى الذي اتصف به أبو الوفاء بن عقيل البغدادي ، ورهطه ابن الجوزي وسواه . إذاً ...
فما ظنكَ بأبي العلاء المعري الذي كفّره بعض الأنام ؟

قلت : فما تقول في كتابك (تقريظ الجاحظ) ؟ فقد سبق لك أن قرظته في حكاية (أبي القاسم البغدادي) !!!

قال : آه يامراوغ ! هذا مؤلّفي ، وقد كتبته عام ٣٧١ بعد أن استنسخت كتاب (الحيوان) .

قلت : تخال طائفة أنك فارسي ، وبعضهم يجزم بذلك . فما تقول ؟

قال : ليس في عروقي غير دماء عربية . بلغ ذلك عنّي .

قلت : بقي لي سؤال في غاية الخطورة .

قال : ماهو ؟

قلت : حديث السقيفة ... أهو نقل المعاني مع تصرّف بالتعابير ، أم نقل حرفي أمين ؟

قال : لست اراني بحاجة الى القسم ، بل انا جازم أن ماورد فيه منقول بقضّه وقضيضه من الرسالة التي أطلعني عليها أبو حامد المروروزي في يوم سمرنا عنده بدار ابن جيشان في شارع الماديان . ثق من هذا وتأكد ، وعنصر التواتر وارد في الرواية . ويصعب عليّ انْ أتصور أبا حامد غير صادق في روايته .

* * *

عند هذا الحد ، ماعدت ألمح شيئاً ، بل شعرت بقطرات الغيث تنهمر متباطئة كالرشاش على وجهي من خلال الأفنان التي جلست تحتها ، والتي زينها نيسان وعطّر الأرجاء المحيطة بها .

تعقيب على تعقيب*
بشأن التوحيدي مفخرة الفكر والبيان العربيين

طالعت بامعان تعقيب الدكتور الفاضل مصطفى جواد المنشور في مجلة (الأقلام) لشهر كانون الأول ١٩٦٨ ، فأشكره لاهتمامه بالموضوع وهو على سرير التمريض ، وتجشّمه عناء التعقيب بعد أن أبلّ ، وأتمنى له الشفاء التام العاجل . وأود كذلك أن أعقّب بما يلي : —

أولاً — وردت في السطر الثالث من التعقيب كلمة (ادّعى) وليس ذا بصحيح ، لأني في الواقع لم ادّعِ بل دافعت فعلاً . وسألبث مدافعاً عن التوحيدي حتى الرمق الأخير ، وأصرّ على وجوب تكريمه تكريماً خليقاً به .

ثانياً — ورد في السطر قبل الأخير من ص (١٣٠) : « وغير ذلك من التهويل » . ويحزنني أن يغمط المعقّب منزلة كتاب « الأشارات الألهية » فعد تثميني (تهويلاً) ، بينما أعتقد اعتقاداً راسخاً انّ هذا الكتاب يعتبر في زمرة أرقى المؤلّفات العربية فكراً ونثراً وروحاً . أما كلمتي (تقييم) فاعترف أن صوابها (تقويم) وهي خطأ شائع ولكني سأستعمله للتميز بين تقويم وتقييم ، خصوصاً وأنّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة — حسب يقيني — قد أجاز استخدام « تقييم» لغرض التمييز عن « تقويم » التي تعني قوّم أو أصلح .

ثالثاً — أما الفقرة التالية التي استهزأ فيها المعقب بتمحيص وتدقيق القرن العشرين ، مستدلاً بفئة ضالّة مفرضة من المؤرخين والمشعوذين والمفترين الذين ادّعوا عدم كينونة عيسى المسيح ، وأن نسطوريوس كان على حق وعداه على باطل ، فهذا شطط عن الموضوع ، لامبرّر له ولا جدوى منه للبحث . كما أنّ الأمور التي ذكرها في هذه الفقرة ألمّ بها إلماماً تاماً ، وهي

(*) كتب هذا التعقيب في كانون الثاني ١٩٦٩ وأرسل إلى مجلة (الأقلام) لكنها لم تنشره .

أصلا ليست من اختلافات هذا القرن بل القرون السالفة العائدة إلى أجيال النصرانية الأولى ، لكنّ القرن العشرين لم يُعدم من يرددها وينبشها ويوردها في مؤلفات جديدة معاصرة تخدم أغراض الصهيونية والماسونية والالحاد. كما فعل بعض الباحثين في سيرة أبي حيّان التوحيدي في هذا القرن بالذات. إذ اعتمدوا نصوصاً قديمة مغرضة مفتقرة إلى الدليل القاطع الحاسم ، وقابلة للطعن فيها . رغم انها لاتحط من مقامه الأدبي ، وغمطوا حقّه في التكريم، وثلموا مكانته بين العباقرة والخالدين بسبب اختلاق ووضع بولغ فيهما . وفنّدهما غالبية النّقاد ومؤرّخي الأدب ، رغم كونهما لايقللان من مكانته الأدبية ، بينما جادوا بالتكريم والتبجيل والتخليد على غيره ممن هم دونه مكانة في تاريخ الأدب والفكر .

رابعاً – أورد عني المعقب في ص (١٣١) بأني « بمنأى عن الأراء السليمة » بدون برهان ، كما أورد عن الدكتور عبد الرزاق محي الدين بأنه «أراد أن يبرئه من الوضع والاختلاق بكل وسيلة» . فأود أن أبدي باني قد أوردت في بحثي«أولا وثانياً وثالثاً ص ٦٧ و ٦٨» أقوى النقاط في دفع الاتهام عن أبي حيان باختلاق رسائل السقيفة وهي أقوى من الحجج الواهية التي لبث المعقب الفاضل متمسكاً بهـا رغم أفتقارها الى الدلائل القوية . كما أغفل الاجابة عن إستفهامي بشأن نصوص ذات الرسائل التي كانت في حوزة أبي منصور الكاتب . ولا أدري لماذا «أراد» الدكتور الفاضل عبد الرزاق محي الدين أن يبريء التوحيدي بكل وسيلة ، وأعتقد ذلك من الاسرار المغلقة لكني أرجح – عن عقل وليس عن هوى – أن الدكتور محي الدين كان أدنى الى الانصاف . بينما كان الدكتور جواد على نقيضه والافضل أن أتوجه الى الدكتور محي الدين بالسؤال: لماذا ياأخي شئت أن تبريء . التوحيدي بكل وسيلة ؟ أحتى تضمن بذلك حصولك على شهادة ماجستيرية ؟؟ أم لانك من عشيرته وطينته وحزبه ؟! أفصح بالله عليك ، ولا تمجمج كما مجمج غيرك . فتتركنا في حيرة !

خامساً — أما قولي في ص (٦٩) من (الاقلام) لشهر أيلول : «قول أبن خلكان المنقول عن نصوص سابقيه . والمنسوب أصلا الى أبن فارس» فظهر أنه خطأ وصوابه (أبن الجوزي) بدلا من (أبن خلكان) إستناداً الى ص ٥٦ من كتاب الدكتور عبد الرزاق محي الدين . والحقيقة أني عندما رجعت الى مخطوط مقالي ألغيت الكلام منسوباً بصورة صحيحة الى (أبن الجوزي) ، وقد وقع الخطأ في نسبَتِه الى (أبن خلكان) أثناء نسخ المقال فمعذرة لهذا الخطأ غير المقصود ، خصوصاً وأن الدكتور جواد قد نعت قولي بالبهتان !

سادساً — أورد المعقب عني في ص (١٣٧) : «السبب في (ذكره) التوحيدي وجدانه قصيدة في البصائر ، كان يبحث عنها ، فوجدها فيه وهذا القول من يوسف فرام منصور يدل على تمحيصه الذي يدعيه ، وأسلوب بحثه الذي يرتضيه» مهلا أيها الدكتور الفاضل ولا تتمادى في

التجني والاستهزاء! فأي (ذكر) للتوحيدي تعني؟ أني لم (أذكر) التوحيدي بل دافعت عنه وناديت بتكريمه في مقالين أو أكثر . وأية قصيدة تعني ، جعلتني (أذكر) التوحيدي ؟ ! وما شأن ذلك أو تلك القصيدة المزعومة بالدفاع والتكريم ؟ ! أما درجة (تمحيصي) و (أسلوب بحثي) فإني ما أدعيتهما أو أرتضيتهما ، بيد أني أترك تقديرهما لغيرك من المؤرخين والباحثين النائين عن التزمت والتصلب . فأنت — سامحك الله — قد تشبثت بالقليل من الثلابين والواهي من الاسانيد ، وأغفلت الكثير من العادلين والمنصفين ، وتغاضيت عن تثمين الرجل من زاوية النظر الى أدبه الرفيع ، ومنزلته بين رجال الفكر .

ويحسن ههنا إحالة القاريء الى العوامل التي جعلت الناس يتنكرون لابي حيان التوحيدي، كما لخصها الدكتور عبد الرزاق محي الدين في الصفحات ٣٢٩ — ٣٣٣ ، فسيدرك عندئذ أن المتمسكين بها على خطأ وضلال وخلط

بن منزلة فكر الكاتب أو قيمة أدبه من جهة . وبين سلوكه الشخصي ومظهره الخارجي ، والركون الى توافه الامور والاتهامات بدون أسانيد مفحمة من جهة ثانية . وما أحسن قول محي الدين أذ قال في ص٣٢٧ من كتابه في التوحيدي : «ولو كان فن أبي حيان لغوياً . لبادر شراح اللغة الى شرحه ، ولو كان صنيعه بديعياً ، لتناهض البديعيون الى درسه . ولكنه أدب رفيع يأتي حظ اللغة منه في الدرجة الثانية ، وحظ الفكر في الدرجة الاولى . على توافر في الحظين ... أما الافكار . أما الآراء ، أما تناول ماغمض من معاني الوجود ، وخبايا النفوس ودقائق الحياة . فذلك أهون في نظرهم من أن تخلق كاتباً ، وتشخّص أسلوباً ، وتنشيء طريقة .»

كما قال في ص ٣٢٦ «لقد خلّف لنا الاقدمون أكواماً مكدسة من مخلفات الادباء ، وأحكاماً صائبة ومخطئة في الحكم عليهم وعليها . فأخذنا الأحكام على علاتها للانتفاع بها في تصوير العصور . وتركنا الاكداس حيث هي أجتزاء بما تلقفناه من الاحكام ، فظل الشعراء في مراتبهم حيث وضعهم الاقدمون ، وبقي الكتاب في مدرجاتهم صواف كما وضعهم المؤرخون . ونحن لم ننبش دفيناً ، ولم نستثر خبيئاً .»

وما أصدق قول محي الدين أذ قال في ص ٣٥٣ من كتابه : «لابد لي من دعوة القوامين على تدريس تاريخ الادب العربي الى أن يصححوا الوضع فيما يتصل بدراستهم لادب العصور . فيعنوا بدراسة أدباء كل عصر دراسة فاحصة قبل التحدث عن آدابه جملة ،وأن يحذروا الحذر كله من هذه الاحكام العامة الواردة في كتب القدماء ، وبخاصة مايتصل منها باقدار الكتاب ومنازلهم ، وأن يحتكموا الى آثار من يترجمون له . فلا يأخذون بما لفّق الثعالبي في (يتيمة الدهر) ونمّق ياقوت في معجمه ،ثم الا يطمئنوا الى أحكام من عني بسيرة رجال الرواية والحديث من مؤلفي الطبقات عندما يصورون حال كاتب أو شاعر ،أذ أنهم لاينظرون للاديب من ناحية فنه ، وانما ينظرون اليه من جهة دينه وتألّهه ، وبذلك يلقون

غشاوة كثيفة على بقية آثاره . كما أدعو الى التفريق بين مقام الرجل في الادب ومنزلته في المجتمع . فليس من الحق أن تطغى الثانية على الاولى في الدراسات الادبية . فيصبح تاريخ الرجل السياسي أو الاجتماعي أو الديني حكماً على قيمة فنه الادبي .»

إني أترك تكريم التوحيدي وتثمينه لغيري وغيرك من المنصفين المتجردين الذين يقدرون الحسنات الكثيرة ، ويعذرون النقائص الطفيفة . فسبحان الله الذي كله حسنات وكمال ، وما أفقر الانسان اليهما ! فمن الاجحاف أن يكرم الحريري والنواسي وأمثالهما ، ويحرم منه التوحيدي وأنداده .

شاعرة من الصحراء

شاعرة من الصحراء (*)

قبل أكثر من عام ، إقتنيت ديواناً أنيقاً ، صغيراً ، نفيساً ، عنوانه (عبير الصحراء) ، وهو الأنتاج البكر لشاعرة ، تقول المقدّمة عنها إنّها من الصحراء – من شبه الجزيرة العربية ، إسمها (نداء) ، وعمرها سبعة عشر ربيعاً . لقد راقتني قصائد الديوان ، وأحببت أن أكتب عنه أو أقرأ شيئاً كتب عنه ، لكنّ مشاغل الحياة أخرّتني عن الكتابة ، كما لم أعثر في المجلات أو الصحف الأدبية على مقال بخصوصه ، ولا سمعت من مذياع حديثاً عنه . ويبدو لي أنّ كثيرين ممّن يهمّهم الأدب ، أو أنّ الأدب حرفتهم ، لم يسمعوا بالديوان ، ولا صاحبته : فلملمتُ شعثَ همّتي ، وقررت أن أكتب عنه ، متوخياً الأخلاص والدقّة .

قصائد الديوان كلّها لطيفة الأيقاع ، جميلة المعاني ، زاهية الأخيلة ، نبيلة العواطف ، جيّاشة أحياناً ، ومعتدلة أخرى ؛ إلا أن فيه قصائد تمتاز عن سواها ، بأن تضمّ عناصر جمالية عديدة كالموسيقى الرائعة ، وسحر المعنى ، ورشاقة التعبير ، وصوفيه ناعمة نزراً . إن الذي يقرأ كلّ قصائد الديوان ، يلمس بجلاء تشابهاً بينها وبين قصائد فدوى طوقان في أحزانها ونغمتها الشجيّة ، وثريّا ملحس في صوفيتها الرقيقة ، ونازك الملائكة في أشعارها الأولى . ومع هذا التقارب والتشابه ، فالشاعرة (نداء) لها شخصيتها المستقلّة ، وأهمّ صفاتها : الحب النقي الخالص ، التمرّد والثورة ، الحيرة واليأس .

الديوان يُستهل بمناجاة حلوة دافئة بالتنهدات ، معطّرة الأشواق ، هذا مطلعها :

(*) نشر في مجلة (الأديب) البيروتية – عدد تموز ١٩٥٨ .

كم تذكّرت سويعات الأصيل
وصدى همسكَ ما بين النخيل
أنتَ في حبّكَ وجدٌ لي طويل
وأرى الذكرى دواءً للعليل
فاتقِ اللهَ بحبّي يا حبيبي

وهذا ختامها :

وأخيراً ليس لي غير الوداع
همسة ظمأى على جمر التياع
لم أجد ، يا حلو ، في كلّ البقاع
لوعةً أعنف من وقت الوداع
فوداعاً ... وداعاً يا حبيبي!

وهنا لمحة من لمحات الخنساء ، أختها في العبقرية التي فتّقها الألم ، من قصيدة عنوانها (دموع) :

بكيت وعيني بالدموع تجود وأيّام سعدي يا ترى أتعود؟
وتغرب أحزاني وتذهب حيرتي ويصدقُ وعدٌ للهوى ، فيجود؟

وفي مطلع القصيدة التالية ، وعنوانها (حكمة القضاء) ، استسلام للقضاء والقدر :

الهنا والسكون والمنى والشجون
والحبيب الحنون ودموع العيون
سلوة المحزون حكمة القضاء

أمّا القصيدة المعنونة (إختفي يا شمس) (١) ، فشدو لطيف ، فيه شجن وحيرة واستسلام ويأس :—

(١) من بين أعمالي الموسيقية ، لحن لهذه القصيدة ، صغته في ٦٠/٩/١٣ — ي أم — ٧٩/٥/٢٣ .

إيه ياشمس إضمحلّي أوفغيبي إختفتْ ، ياشمس ، أنوار حبيبي
كلّ ما حولي ظلامٌ وسكـــون إختفي ، يا شمس ، عن قلبي الغريب
كلّ ما بعدك قد أضحى دمـــار بعدما كانت حياتي في أزدهـــار

كيف ، يـا قلب ، غدا الحبّ شجون؟

ومن قصيدة ، عنوانها (سؤال) ، أُعجبت بهذه الأبيات :

هو الجميل وطهر القلب زينتـــه وليس من بعده حبٌّ يـداوينـا
أغلقـت قلبي بمفتاحٍ لأعصمـــه عن كلّ ذي عذلٍ بالقول يغرينا
لله درّ أحـاديثٍ لنـا سلفـــت كانت لنا فرحةً ، كـانت لنا دينا
كان الزمان لنا حـزنـاً يساعـدنا والآن كلّ هموم الأرض تطوينا

وفي الديوان قصائد كثيرة ، تُعدّ من أبدع ما قيل في الشعر الغنائي . والخماسية التالية مثال واضح على ما أقول ، تترقرق فيها الموسيقى بين مقاطع الألفاظ السائغة العذبة : —

يا حبيب الـروح ، قل لي بالهوى مـن لوّعك
كيف لا يرحم وجدي وفؤادي أدمعك ؟
قلبي القاسي لا كان إذا لم يسـمـعـلـــك
أنـت لا تعلم ، يا عمري ، عندي موقعك
أحسن الأيام يومٌ كنت أقضيه معـك

وهذه الرباعية :

أنـتَ روحـي أنـت زهري أنـــت أنشـودة شعـــري
أنـــت دنيـــاي وعمري لســت في حبــك أدري

وفي ديوانها قصائد تحاكي تشاؤم الخيّام ويأسه ، كما أنّ فيه أخـرى حافلة بالثورة كالأبيات التالية : —

أنا قد تجاوزت كــلّ الحدود وحطمت من ذا الفـؤاد القيود
وأبعـدت عنّي شجـون الغرام وحسن الكـلام وكثـر الوعـود
أنا لاأحبّ المحـبّ الضعيـــف فيرفـع دون هـوانـا السـدود

وفي الأبيات التالية . نفحات من روح الخيام التشاؤمية اليائسة : ـ

ستمضي حياتي وأمضي أنا ... أنا ، ياحبيبي ، بريق دنا
ولكنه يختفي كالمنى ... ويمضي غريباً بعيد السنى
غداً ، ياحبيبي ، ستمضي حياتي ... غداً ، ياحبيبي ، توارى رفاتي
فأنت ربيعي . ذرى أمنياتي ... ومنك دعائي ورمز صلاتي
سأترك ماقال عنّي الوشاة ... وأمضي وأتركهم ذكريات
وأبقى غريباً بنوم الممات ... بقفرٍ يواسيه شدو الرعاة

أما الأبيات التالية ، فتتجلى فيها مناظر الصحراء :

وتلك الصحاري وهذي التلال ... وشمس الأصيل لدى الهاوية
جميعاً تذكرني في لقاك ... تقول : «أأنت ندا سالية
فما هزة الشوق عند الغروب ... كأنّ المنى في يدي دانية ؟
كانّ الحبيبَ الذي قد مضى ... سيرجع لي مرّة ثانية
لماذا إذا عاد طيف الغروب ... أرى الحزنَ يضنيك ياناسية ؟»

أنّ الشاعرة (نداء) زهرة جديدة في عالم الشعر العربي عامة . والنسائي خاصة ، أنبتتها (منيرثا) في واحة من واحات الصحراء العربية ، ليفوح منها العطر العبق المنشور بين طيات ديوانها الاول . وعلينا أن ننتظر شيئاً كثيراً ونفيساً من هذه الزهرة الشذية في السنوات القلائل القادمة . حرستها العناية عندليباً غرّيداً للصحراء العربية ، منبع الشعر الأصيل ، والشعور الحي النبيل .

تباريح شاعر



تباريح شاعر *

تربطني بالشاعر حارث طه الراوي — صاحب ديوان « تباريح» آصرة ودّ وصداقة ، هي وليدة تقارب في بعض الأفكار والعواطف وشغف بالأدب والفنّ ، وصفاء النفس من شوائب الصداقة ، وخلوّ الطبع من المثالب التي تكدّر الأخوة . فإن تكلّمت عن « تباريحه» ، فإنما اتكلّم عن نتاج رفيق لصيق بقلبي ونفسي ، عرفته قصياً عنه في حداثة علاقتنا ، كما اختبرته عن كثب وتجاور خلال خمس سنوات .

أغلب قصائد الديوان ، سبق لي سماعها ، فكثيراً ما أنشدني الشاعر الصديق قصائده ، ونحن على ضفة دجلة أو في جنينة أو صومعة أدبية . وكنت آنذاك أنتشي بمعانيه وعذب إنشاده ، وأسأله أن يعكف على جمع ماقد أنشد ونشر ، تمهيداً لطبعه في ديوان يكون في متناول قراء الشعر الجيّد ومحبّي الأدب الرفيع ؛ فيتسنى للقاريء ، أن يكوّن له فكرة واضحة ورأياً جلياً عن شاعريّته ونفسيته وفنّه ، إذ ان قصيدة ما في مجلّة ما ، وشعراً قيل في إحدى المناسبات ، وأبياتاً معدودة في صحيفة من الصحف لا تعطي إنطباعاً كافياً ، ولا بالأمكان ، من خلالها ، الحكم على نتاج بصورة عامة .

وفي حين يحجم البعض أو يتلجلج في نقد آثار رفقائهم وزملائهم ، أراني على النقيض من ذلك ، مرتاحاً ومبتهجاً ، نظراً ليقيني من رحابة صدر صاحب الديوان ، وايثاره الصدق على سواه ، ولعلمي أنه مرتاح إلى وجود حسن النية في الناقد ، ومدرك أنّ الباحث إذا كال الأطراء والتقريظ جزافاً — بدافع من عاطفة الصداقة — فقد أساء ؛ كما أن التهجّم المتعمّد والثلم المغرض — بحافز من التحاسد والتباغض المأثورين عن أهل الصنعة والحرفة الواحدة — ذنب وتجاوز .

(*) نشر في مجلة (الأديب) البيروتية لشهر كانون الأول ١٩٦٢ .

يشتمل الديوان على باكورة أشعار الشاعر . ويمثّل مرحلة زمنية من عمره تبدأ بتفتّح أكمام نفسه للشعر ، ودغدغة ربّة الشعر والألهام لأحلامه وعواطفه ولمس شغاف قلبه بلمسات أنامل (فينوس) المخملية . ووقع سهام (كيوبيد) الرهيفة . والشاعر – شاء أم أبى – مدين بالفضل الوفير لتلك التي أيقظت (تباريحه) ، وأثارت وجده ؛ فلولا تلك الغادة – بمحاسنها ومساوئها لما أطلق الشاعر – قيّمها – أعذب مافي الديوان من غناء ، ولا رتّل أشجى مافيه من أنغام . ولا يتخلّص الشاعر من تأثيرها في نفسه وقصيدة حتى سنة ١٩٥٤ – كما يلوح من قصيدته (خنتِ عهد الحبّ) – فيقول :

خنتِ عهدَ الحبِّ ، أنتِ انـــت ياحـــواء انــت
وتنــاسيــتِ وفائـــي وعلى دمعـــي ضحكتِ
وعلــى ذلّـي وحـــزني وعـذابي قـــد رضيـت
كنـتِ تشقيـن لحزنـــي كنـت تشقيــن لصمتـــي
وأمــامــي كـم بكيـــتِ وأمــامـي كـم سجــدتِ
فتجــاهلــتِ وجـــودي وتجـبّــرتِ وخنـــتِ

ذلك أنه بعد أن نفض يده منها ، وأقبل على مرحلة جديدة في حياته . تتميّز بالرباط الزوجي ، أدرك أنه لا جدوى من حبّه لها وكلفه بها ، فطفق يثير فيها عاطفة الغيرة المكينة في نفوس شقيقات حواء ، ويغيظها – انتقاماً لنفسه وكرامته – بقوله من نفس القصيدة :–

وإذا يـــومــاً عـقلــــتِ وإذا يـــومـــاً نــدمـــتِ
فـتعـــالـي كـي تـــــزوري خلســةً ربّـــة بيـتـــي

ولكن هل تخلّص الشاعر فعلاً من تأثير حواء الأولى حتى هذه اللحظة . رغم غدرها وجحودها ؟ لا إخال ذلك !

ومطالع الديوان ، يلقاه حافلاً بآهات وأنّات ونواح ، مصدرها الأكتواء والتلظي في الحبّ ، والحرمان من غبطة المحبّة وبهجة الشوق ، كقوله :–

إغرقي في الصمت ولا تستفسري ودعيني صامتاً كالحجر
كل ما شيدته مغتبطاً قوضيه بالجفا وانتظري
إغرقي في الصمت يا بنت الهنا من أنا حتى تزيلي كدري
واسبحي في الوهم حتى تدركي ما الهوى ، ثم اسألي عن خبري

ويعاتب فؤاده بالقول : —

يذكرني هذا الدجى برسالة سكبت بها شوقي ودمع وفائي
سكبت بها ـ ياقلب ـ أحلامك التي أعدت لها الأحزان ثوب بهاء
وأرسلتها أرسلتها متوقعاً جواباً بطرس أو بعيد لقاء
فما كان منها غير صمت كأنه جنازة مسكين بغير غطاء

ولا أدري لماذا كرّر الشاعر كلمة (أرسلتها) في الشطر الأول من البيت الثالث . فلو استعاض عنها بكلمة (فوّاحة) أو (مستبشراً) أو سواهما من هذا القبيل ، لكان ذلك أجود صيغةً وأطيب وقعاً في اعتقادي .

أما قصيدته (جنون الحب) ، فرائعة الاستهلال ، رائعة الايقاع : —

إن رأيت الطرف أمسى قاحلاً لاتقولي ودّع الحبّ وتابا
دمع هذا القلب أمسى بركةً حضنت شوقاً وهماً وانتحابا

* *

أنا مجنونٌ أنا ... لاتعجبي فجنون الحبّ أمسى مستطابا
إيه ياعذراء . إني عاشقٌ أنهب الحزنَ من الحبّ انتهابا

وتحاشياً للتكرار في الشعر ، كان الاحسن لو أبدل كلمة (أمس) في الشطر الاول من البيت الثاني بكلمة (أضحى) مثلا . وقد راقني جداً ختام هذه القصيدة بقوله : —

معبد الحبّ سيبقى معبدي صلواتي فيه لاترجو ثوابا

فهو ينم عن إخلاصٍ في الحب ، قل نظيره ، وندر تجرده .

إنّ حارثاً مندفع في حبّه أندفاعاً شديداً . وهذا الاندفاع الشديد . إن كان من جهة واحدة . فلابد أن يصطدم ويتحطّم . والبيت التالي من . قصيدته (أفيقي) يصوّر لنا مدى ذلك الاندفاع : —

أودّ بأن أرتمي خـــــاشعاً على قدميــكِ فيأبى الــحذرْ

وبما أنني لا أقرّ أيّ رجل — مهما كان متحمساً ومندفعاً في الحب — أن يهبط الى درك الذلّ والمسكنة بالارتماء خشوعاً على قدمي محبوبته — وإن كانت آية في الحسن والبهاء . أو خليفة فينوس على كوكبنا . وددتُ لو أستعاض الاخ الشاعر عن كلمة (الحذر) بكلمة أخرى توحي الكرامة . والكبرياء (كالعبرَ أو الكبرَ) ، فذلك كان أفضل له وللشعر أيضاً كما أعتقد

وفي قصيدته (ربما) ، يبدو واضحاً مدى إصراره على المضي في الحب حتى وإن تمزّق قلبه — لاسمح الله : —

مزقي القلبَ ، مزّقيه فأنّــــي لست أخشى على فؤادي الفاني
مزقي القلــبَ ، مزقيه ، سيبقى وتر الحبّ حافلا بالاغـــاني
واسكبي الوهمَ في كؤوس التمني وامنحي الصبرَ حلّة الاكفانِ
أنا أخلصت في الـوداد ، فهيّـــا جرعيني مرارة الهجـــرانِ
أيّ شيء هــو العذاب ، أنـــارٌ ؟ أججيها أمامَ عيـــن الـزمان

وكنت أودّ لو أن الشاعر استرسل في صراخه الوجيع ، وتحديه الثائر على هذا النسق بدون أن يشط عن الموضوع في المقطع الثاني ببيتيه التاليين : —

كـل حبٍ لايصبح الموت فيه هدفاً يستسيغه الأنســـــان
لهو في الحقّ صورة من وفاء شوهتها مطامـــع الأنســـان

فهذه فلسفة الشاعر بعد تجربة حياتية ، لا أستسيغ تضمينها هذا المقام من صيحات الوجدان .

واذا حاول القارىء ، العثور على إشراقات السعادة ، وابتسامات الأمل النضير ، وسماع الأنغام الطروب ، فلا يجد فيه إلا النزر اليسير ، والشارع

لايلام على ذلك . لأن صاحبته — مثيرة تباريح — لم تهيء له فناً رطيباً مزهراً . يغرد عليه تغريداً مطرباً . ولا جواً منعشاً مبهجاً . يرنم فيه ترانيم السعادة والحبور . وهذه ، مع الاسف الشديد — هي الحال الغالبة عندنا في الشرق . فغلب على نتاجنا الطابع الكئيب الأليم . كان الله في عونك ، ياأخي وفي عون السابقين واللاحقين !

فلنسمع بعض أناشيد البهجة المفرحة الباسمة ، وهو مقبل على عهد جديد :

حنانيك ماذا يقول القلم	وقد ودع القلب عهد الألم
فأني غدوت غريق الحبور	شبيه النسور بدنيا القمم
عرفت بحبك معنى الضمير	وعطف السمير وسحر القلم
فقد كان قلبي مهيض الجناح	يغني ولكن بوادي الرمم

كما قال في قصيدته (بسمة) : —

تبسمين ، فتبسم الدنيا معي	وتشيع أنغام الهنا في مسمعي
الغبطة الكبرى تناجي خافقي	والنشوة العظمى تدب بأضلعي

وقوله : —

ياحلوتي ياروح فني	نامي بقلبي واطمئني
أنت الحياة وسحرها	أنت سماوات التمني

والديوان كذلك يحفل بمرثيات جيّدة قيلت في والد الشاعر وبعض الشعراء الراحلين كالرصافي وأبي شبكة وصلاح لبكي وأبي ماضي . وأرجح أن شغف الراوي بالرثاء ، وإجادته فيه شيء موروث عن ابيه . قال راثياً المرحوم صلاح لبكي ، من قصيدة ذات التياع وجيع ، وخيال ظريف :

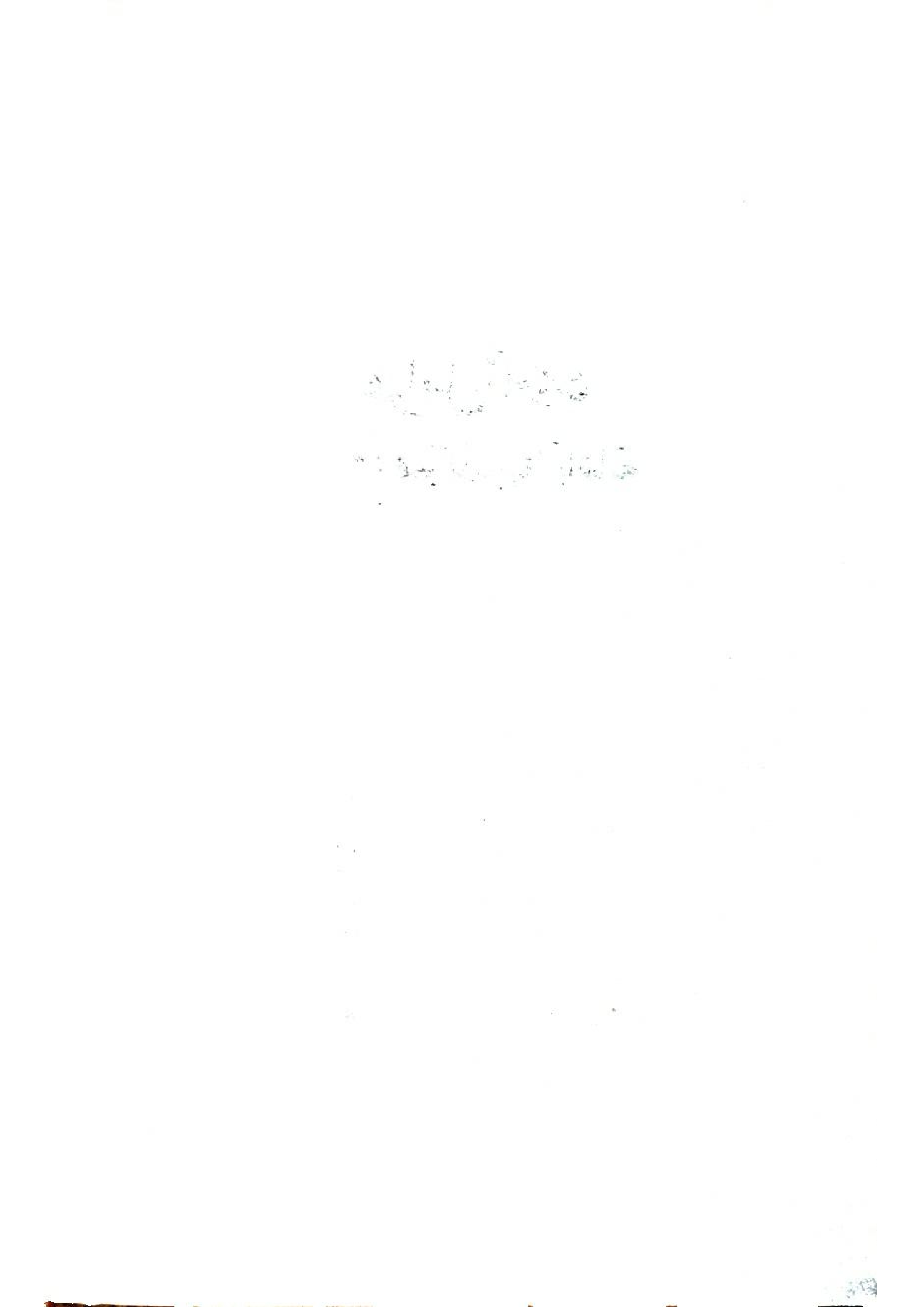
تلفتُ أستجدي العزاء من الورى	فكنت كمن ينبغي الجنات ببلقع
وأغمضت عيني كي أراك هنيهة	فاصبحت رغم الموت ياصاحبي معي
فكذبت ذاك النعي لما تراقصت	أغانيك في قلبي ورنت في مسمعي

أغانيك لم يهتف هزارٌ بمثلها ... وما طاوعتْ يوماً براعة مبدع
إرقٌ من الاشواق تنساب خلسة ... يتمتمها ثغر الحبيب المودعِ

وفي الديوان نماذج طيبة ناضحة بالعاطفة الوطنية . زاخرة بالمشاعر الوجدانية والخلجات الأنسانية . وهو إجمالا ، بشير خير وبركة في مجال الشعر والفن . يحملنا أن نتفاءل ونتوقع من صاحبه أن يتحفنا بنتاج أعمق غورا ، واسمى خيالا ، واتقن صنعة في دواوينه اللاحقة ، كنتيجة طبيعية لأطراد النضوج الفكري ، والأختمار الروحي ، والتطور الفني .

أما تصدير الديوان للشاعر امين نخلة . فأعتقد أن الراوي جدير به . لكني شخصياً كنت أفضل عليه مقدمة نقدية تحليلية وافية فأنها في اعتقادي أنسب لدواوين الشعر ، وانفع للشاعر ولقريضه كذلك .

عوامل تكوين
شخصية الأديب واتجاهاته



عوامل تكوين شخصية الأديب واتجاهاته *

ان العوامل التي تكون شخصية الأديب ، وتحدد أتجاهاته في نواحي الفكر والعاطفة والاخلاق هي ذات العوامل والاتجاهات التي تخلق وتحدد شخصية ونزعات القائد والفيلسوف والمتفنن وكلّ فرد من أيّة فئة او طبقة .

وبما ان الأديب شاعراً كان ، أم مفكراً أم كاتباً من أي طراز ، كالمتفنن موسيقياً كان، رسّاماً أم مثّالا — له الاثر الفعّال في توجيه الرأي والذوق لما تتركه أعماله المدونة الباقية من آثار في النفوس ، إذ تفصح عن اتجاهاته وتعبر عن آرائه ، وتدلّ على شخصيته ، فسأقصر بحثي على الأديب والمفتن باعتبار ان الأدب فنّ أيضاً.

فهناك من يقول ، ان البيئة وحدها ترسم اتجاهات الأديب ، وتخلق شخصيته وينكر أيّ أثر للمزايا الوراثية الوافدة بالولادة من الابوين ومن السلالات الموغلة في القدم؛ ويضرب لذلك مثلا على توأمين، يؤخذان من أبويهما، الواحد يُلقى في بيئة متأخرة ثقافياً واجتماعياً، والآخر يلقى في بيئة راقية فتكون النتيجة — مع نموّ الأثنين — تخلف الأول ، وتقدّم الثاني.

لست ممن ينكرون الأثر العظيم الذي يتركه المحيط في خلق شخصية الأديب والمتفنن وتوجيه تيّاراتهما الفكرية، ونشاطهما الأنتاجي والأبداعي بفعل التفاعل مع ثقافة ذلك الوسط ،ومدى الانطباعات التي تتركها في نفسيهما الأحوال المعاشية. إلاّ أنّ مقدار التجاوب مع ظروف وأحوال محيط ما، يتفاوت بدرجات مختلفة بين أديب، وأديب، وبين مفتنٍ وآخر من نفس البيئة وعين الوسط. فثمّة فئة من الأدباء عاشوا في مدينة واحدة ، ونشأوا في مدرسة واحدة، وعاشروا فئة معينة من أهل الفكر والفنّ لكنّ أهدافهم في الحياة كانت متباينة ، وسبلهم متناقضة، فكان إنتاجهم بالنتيجة متفاوتاً

(*) نشر هذا البحث في مجلة (السنابل) البيروتية لشهر حزيران ١٩٦٠ .

متميزاً. وهذا الاختلاف عينه قد ينطبق على أخوين من عائلة واحدة. في مدينة واحدة "وفرّ" لهما الحصول على ثقافة من معين واحد والأحتكاك بجماعة واحدة من أهل الفكر والفن. فليس كلّ الأدباء (البرناسيين) مثل (فيرلين) و(رامبو) . في الأخلاق ونواحي النشاط الأدبي. في حين أنّ تلك الطائفة من الأدباء كانت تجتمع كل مساء في مطعم «ريفولي» بالحي اللاتيني في باريس. وتتردد على صالون «لويس دي كسافير دي ريكارد» حيث جماعة «ليكونت دي ليل» من البرناسيين.

وقد يتساءل بعض الناس، فيقول: ترى ماالذي أدى الى التباين والتناقض العجيب بين شقيقين؟ فهذا، مثلا، شهم، حرّ التفكير، إنساني النزعة، وذاك نقيضه: وضيع الأخلاق سقيم التفكير، أناني الميول، خاوي النفس من المثل العليا. هنا يظهر أثر الاستعداد الشخصي الأصلي في الفرد، وأعني به الاستعداد العقلي والنفسي الحاصل وراثياً من الآباء والاجداد والفروع. فالعلم يقرّ أنّ (الكروموسومات) في الرجل تحمل مزايا الأفراد، وهذه أشياء ثابتة، لايمكن لفرد نكرانها، وقواعدها وحساباتها، لايستطيع أحد تفسير كنهها (بالضبط) وهي حتى اليوم — وستظل — من الأسرار الألهية في الخليقة البشرية. فهناك تهجع خصائص النبوغ والعبقرية والخير، كما هناك مستقر البلادة والتفاهة والشر.

فبعض الناس، مثلا، ورث رقة الشعور، ورهافة الحس، وحب الخير من أمه أو جدّته أو أبعد بكثير. فيتمثل هذا في أدبه إن كان أديباً، وفي فلسفته إن كان فيلسوفاً، وفي تعامله وسلوكه ان كان إنساناً عادياً. وأحد البرايا ورث عن آبائه أو أجداده أو أسلافه النائين جموداً في الشعور، أو ميلا الى الشر، يبدو جلياً في إنتاجه وسيرته؛ ولا يجدي معه إسداء أثمن النصائح، ولا ارقى الثقافات. فكثير من تصرفات الأنسان لاتأتي عن أعمال الفكر أو بنتيجة الثقافة المكتسبة، أو من جراء عوامل المحيط. إنها تصدر نتيجة لعوامل ودوافع نفسية باطنية بسبب خصائص فكرية ومزايا نفسية متأصلة في تكوين الفرد العقلي والسيكولوجي.

إن الطبقة الاجتماعية لاتحدد دوماً أهداف الأديب وميوله وعقليته ضمن نطاق مصلحتها الطبقية . إذ لو كان الأمر خلاف ماأقول ، لما حارب تولستوي الكاتب العظيم المفاهيم والمذاهب الأرستقراطية – وهو من صميمها – ولما استشهد الشاعر (لورد بيرون) غريقاً في سبيل تحرير اليونان . فتولستوي الكاتب مثلا ، لم تستطع طبقته الأرستقراطية المترفعة حمله على مجاراتها في عدم تحسس آلام الطبقات الفقيرة الكادحة والبورجوازية الصغيرة ، وعدم الأشفاق عليها ورسم طريق الخير لها ، بل على النقيض . فالمطلع على أدب تولستوي ، يلمس بوضوح نبل تفكيره ومقاصده في نواحي حياة المجتمع الأنساني . فما الذي جعله لايجاري الطبقة الأرستقراطية – وهو منها ولا يحبذ مفاهيمها الخاطئة ، ولا يعتنق مذاهبها النفعية الضيقة ، بل صار حرباً عواناً عليها ، حتى أنّ روسيا القيصرية كانت تهابه كما تهاب اعداءها في ذلك الحين ؟

من هذا يبدو جلياً أن المحيط لم يتغلب على استعداد تولستوي الأصيل في عقله ونفسه لنزعته الأنسانية ، بل العكس هو الصحيح . فالظروف القاسية الشاذة التي كانت في روسيا أيام تولستوي ، أثارت في نفسه الأنسانية استعدادها الشخصي لحبّ الخير والأصلاح والتقدم – وهذه أشياء ضد مصالح الطبقة الأرستقراطية التي فيها نشأ ، وفي أحضانها ترعرع .

ولو صح أنّ البيئة هي كل شيء ، لما تفوق (موزار) الموسيقار الخالد على شقيقته التي لن تذكر بجانبه غير عازفة فقط ؛ ولما نبغ (شوبرت) – أصغر أخويه – في الموسيقى في حين لم يكن الأخوان سوى مدرّسين كوالدهما . فالمعروف عن الموسيقار الفذ (موزار) أنّه كان ابناً لأستاذ ماهر في تعليم الموسيقى ، بسيط الحال ، وكانت أخته (مريانا) قد أتقنت العزف على يد والدها كأخيها . لكن أين الفتى من أخته ؟ إنّ القوة الخلاّقة في (موزار) لم تحصل في شقيقته ، مع أنهما من نفس الوالدين ، وتربيا في بيت واحد ، وتدربا على نفس الأستاذ الوالد ، واشتركا معاً في الرحلات الفنية

في أوربا قبل زواج (موزار) . فالعوامل التي تيسرت للفتى . كانت بعينها متيسرة للفتاة . والبيئة الفنية والثقافية كانت واحدة . لكن الخصائص الأصيلة الكامنة في الاخ بالولادة . هي التي جعلت منه عبقرياً خالداً . وهي التي حثته على السعي وراء المجد والشهرة . ولا نستطيع أن نعلل عدم نبوغ الشقيقة كنبوغه الا لانعدام تلك الطاقة الخلاقة العجيبة الموروثة بالكروموسومات كما يرث الفرد لون عينيه وشعره وخصائص الجسم الإخرى عن الوالدين والجدود والسلف القديم .

واذا كان الفضل للمحيط وحده ، فلماذا لم ينبغ من (بشري) غير جبران وكان له أشقاء — ولم يشتهر من (بسكنتا) غير رشيد أيوب وميخائيل نعيمه وللثاني أخوان — ولم يلمع من الفريكة سوى أمين الريحاني ، ولم ينبغ أخوه نظيره ؟ فالبيئة الواحدة اذاً أو العائلة الواحدة ، لاتحدد غالباً إتجاهاً واحداً في الحياة لجميع أفرادها ، وذلك بسبب الاختلاف في الخصائص الوراثية والأستعداد الذاتي .

وخصائص الوراثة لاتعني أن الفرد لايكتسب صفات جديدة لم تكن في السلف فهذه — كما ذكرت — قواعد وحسابات معقدة عسيرة الادراك والشواذ في هذا المجال كثيرة — ولعل الشواذ من صلب نظامها ! وما الفرد في تكوينه الجسماني والعاطفي والعقلي ، الا سلسلة وراثات وترسبات من مزايا وخصائص وخصال ، تحدرت من ملايين الظهور والاجيال .

ويجدر بي ههنا أن أورد ماقال (غاندي) العظيم في كتابه (تجاربي مع الحقيقة) ص ٣٦٢ :(إن الأبناء يرثون خصال آبائهم كما يرثون خصائصهم الجسمانية . والبيئة تلعب دورا هاماً من غير ريب ، ولكن رأس المال الأساسي الذي يستهل به الطفل حياته ، موروث عن أسلافه . ولقد رأيت أولاداً ، أيضاً ، يتغلبون في نجاح على آثار ميراثهم الشرير . ومرد ذلك الى الطهارة بوصفها سجية من سجايا الروح الفطرية) .

ممّا تقدم . يُستخلص أن الاديب أو المتفنّن . أو أيّ فرد . مدين في تكوين شخصيته وتحديد إتجاهاته إلى عاملين هامين هما : عامل البيئـــة والوسط . وعامل الوراثة والأستعداد الاصلي الفطري . وهذا لايعني وجوب التعادل في القوى . فقـد ترجح قوة البيئة والوسط عاملَ الوراثة والأستعداد الذاتي . والعكس أيضاً يجوز .



برونتي
شاعرة التباريح والأحزان

برونتي : شاعرة التباريح والأحزان(*)

قليلون من عرفوا (أميلي برونتي) شاعرة ، وكثيرون من دروها روائية صاحبة (مرتفعات وذرنج) قصتها اليتيمة التي أضحت دعامة شهرتها . والتي أنشأتها قبل عام من مفارقتها الحياة ، وهي بعد في ميعة الشباب ونضارة العمر — في ربيعها التاسع والعشرين .

وكنت إلى أعوام خلت ، واحداً من أولئك الكثيرين ، حتى تسنى لي ان أقتني مجموعتها الشعرية الكاملة المنسقة بحسب تسلسلها التأريخي ، والمنشورة غِبّ الرجوع إلى الكراريس الخطّية التي احتوتها . فقبل أن تظهر هذه الطبعة (١) ، وطبعة جامعة كولومبيا في عام ١٩٤١ ، كانت أغلب قصائد (أميلي) المطبوعة محوّرة ومعدلة من قبل شقيقتها (شارلوت) التي كانت أول من فطن إلى عبقرية أختها ، والتي ورغم تأليفها بعض الأشعار — لم تكن ذاتها شاعرة . لذلك ، أضحى التحوير الذي طرأ على قصائدها مسيئاً إلى روعة الأصل ، بخلاف الدافع الحقيقي ، ألا وهو التحسين والتجويد .

لقد طفقت (أميلي) في تدوين شعرها عند بلوغها سن الثالثة عشرة مستهلة بنظم حكايات من (قصّة الجوندال) التي كانت لديها بمثابة لعبة تلعبها مع شقيقتها الصغرى (آن) . وأول إشارة إلى هؤلاء الابطال الأسطوريين في مذكراتها مؤرخة في عام ١٨٣٤ ، وباكورة قصائدها ، ضمن هذا الأطار ترتقي الى عام ١٨٣٦ ، وهي ثاني قصيدة في ديوانها ، ومطلعها : —

أصحواً أم غائماً سيكون النهار ؟
لقد استهل فجره رائقاً
لكن السماء قد ترعد بهزيمها
قبل غروب الغزالة

(*) نشر هذا البحث في مجلة (الأقلام) البغدادية لشهر كانون الثاني ١٩٦٧ .

(١) من منشورات (The Follo Society, London – 1951)
تحقيق وتصدير فيليب هندرسون . وعليها عولت في تقديم هذا البحث

وقصة (الجوندال) هذه اسطورة إسكندينافية المنشأ عن قوم (الجوندال) الذين قطنوا جزيرة جبلية صخرية في المحيط الهادي الشمالي ، والتي مناخها يماثل مناخ (يوركشاير) ، ولذلك غدت أغلب قصائد الديوان مجردة من العناوين ، إذ أن معظم أشعاره تؤلف أحداث ووقائع الأسطورة المذكورة وتصور عواطف ونزعات أفرادها . فسكبت (أميلي) في سطورها ماشاءت من روافد عواطفها الجياشة ، وبثت فيها ما أتيح لها من صور وأخيلة غريبة فريدة ، فجاءت مزيجاً عجيباً من الميلودراما (مفاجآت مثيرة محزنة) والغنائية الشعرية والعواطف الوجدانية . تمثل بعض هذه القصائد اروع أشعارها ، قيد أن بعضها الآخر أدنى مايكون إلى عمل فتاة في طور الدراسة تملك حظاً من موهبة ونبوغ. وقد سجلت (أميلي) قصائدها الأسطورية تلك في كرّاسين ، لتغدو مستقلة عن قصائدها الذاتية الأخرى .

كان أفراد عائلة (برونتي) تحت هيمنة الأحلام والأشباح ، وسطوة الظواهر الغريبة ، حتى أن الكاهن (باتريك برونتي) امتاز بطاقة مدهشة على سرد الحكايات العجيبة المذهلة الى حد يخشى معه الضيوف السامعون أن يقصدوا أسرتهم للرقاد ليلا . ولقد ورثت (أميلي) هذه الخصلة عن أسلافها الأيرلنديين نظير أختها(شارلوت)مؤلفة «جين إير» . والمعتقد أن أثر قصة «مرتفعات وذرنج» جلي قوي في أشعارها : فمحيا شقيقتها ماري — التي قضت نحبها في صباها — هو الوجه الذي كان يطل ليلا من النافذة أثناء رؤيا(لوكوود) في «مرتفعات وذرنج» ، وهو ماقد لاحظنه بأجمعهن ، أو أنهن قد حسبن ذلك ، وكثيراً مالاحت روح «ماري» الملائكية الطهور في قصائد «أميلي» . ومن الجائز أن يكون مايلي من وحيها

أنبئني ، أيها الطفل البسام ، أنبئني
ماهو الماضي لديك ؟
«أمسية خريف ناعمة هادئة
ذات ريح تتنهد حزينة»

إن الرقّة نزرة في أشعار «أميلي» ، لكنها ليست نظير الرقّة البشريّة تماماً فهي تنبعث على شاكلة طير غرّيد ، قد حطّ واجماً على صفوانه ، وأحجم عن الشدو ،أو كومضة متهيّبة حيية من حدقة زهر البنفسج الشذية في مطلع الربيع . ولعلّ القصيدة التالية تصوّر هذا المنحى بالأضافة الى نزعة الشاعرة الى الكآبة والغم الى درجة الأسترسال والشغف ، وهي من مجموعة أسطورة (الجوندال) : —

أماه : لست آسفةً
لأبرح هذا العالم التاعس دوني
لو لم يكن ثمّة سوى السلوان
في تلك الغبراء المعتمة التي تغيّبني

* * *

لكنّما رغم الملل البئيس في الحاضر
والخيبة والنصب واليأس هاهنا
فليس من فؤاد يسعه قمع الجوى
جوى مبارحة أشياء كانت ردحاً حبيبة

* * *

إثنا عشر عاماً ، ومثلها ، وكل شيء يزول
فلا يشرق النهار ولا يجن الصريم
وليس لي بعد الآن أن أجول
على الشاطىء، في الغابات والحقول.

* * *

وليس لي بعد أن أرقب أبداً
أفول نجوم الفحمة في السحر
أو أتنشق نسمة الصبح المشمس
ولا أعود ألمح ضياءها مجدداً

* * *

أجراس الدير . أسمعها تــطــــــن
تذكري طنينها الخافت الكئيـــــب
لكن الريح المعاكسة تهـــــــف
فتقصي موسيقاها عن أذنـــــــي

* * *

صرصر الدجى في الشتاء تــبـــوح
بأفكار وأشياء ينبغي لها نزوح
إقتربي ، أمّاه : فقلبي يتــفــطــر
إذ لاأطيق الأنـــطـــــــلاق

* * *

محتم ذهابي حيث لاأوبـــــــة
لتلطيف حزنك أو تسكين همـــك
كلا ، لاتنوحي ، فنواحك ا لألـــيـــم
يشقي روحي بــقــنـــوط صـــارم

* * *

كلا ... عدبني ، إذ أمسي راقـــدة
تحت الصخرة في البيــعــة العتــيقة
ستجففين عبراتك وتنبذين تــنــهدك
وتنسين سريعاً إنطـــــلاق الــروح
طالما سألتني إنباءَك أيّ أسى
أذبل وجنتي ، وأطفأ بريقَ ناظري
قبل غــد سنفترق
لذا سأعترف قبل أن أقضي

* * *

منذ عشرة أعوام في آخر أيلول
غادر فرناندو بيته وغادرك
وما فتئت أفكّر ، لابدّ تذكرين
عذاب ذلك الوداع الأخير

* * *

تدركين جيداً عظَمَ اشتياقي
لألمح طلعته ثانيةً
خلال كآبة الخريف
وأماسيه العاصفة وأيّامه الماطرة

* * *

هناك ، عند أطراف غابة (آريون)
يمتدّ ممرّ فريد جميل
حيث القلوب انتعشت سويّةً
وجرى فراقها الأول المشؤوم
كل ربوة خضراء وشجرة مترنحّة
استحمّت عصراً في عزٍّ ناعم
وامتدّ ، بلا حدود ، اليمّ المترامي
وراء المتنزّه الوسيع المنبسط أمامي
وهناك لبثت ، عندما بارحني
نجدٌ أغبر وعين ناشفة
ألحظ السفينة ، قد حرمني شراعها
من الحياة والأمل ، من الغبطة والسلام

* * *

تلك الليلة أنفقتها باحثةً
عن وسادة همّ ساهر وعزلة كئيبة

فروحي ما انفكّت حائمةً فوق اللجّة
ونائحةً على ودادٍ راح بلا أوبــــة

* * *

مع ذلك . أتبسّم للذكــريات
فتنتابني سويعة مــن منتهى البهجــة
خطابٌ ينمّ عــن حــبٍّ مكيــن
وخلاصٌ من الدأماء أميــن

* * *

لكنْ ليس سواها ، بل وجل ورجاء
وانصرام ربيع وحصاد وشتاء
ووهبني مـــرور الـزمن طاقــةً
لاحتمـال أفكارٍ ما طقتها مـرّةً

* * *

وفي أماسي القيظ يـروق لـي
نشدان موضع شهد وداعنا الأخير
وهناك حيث تُنسَج الأخيلـة
سأتوانى حتى يقرع ناقوس الغروب

يلمس متصفح الديوان بيسر نزعة «أميلي» إلى الكآبة والأشجان . فحقّ بذلك لماثيو آرنولد ـ الكاتب والشاعر الأنكليزي أن يقول فيها : «منذ بايرون . لم يكن من يضاهيها مقاماً في مجال الوجد والسورة والكآبة» . وأرى أن فقدان شقيقتها «ماريا» والحياة المنعزلة التي أنفقت مع شقيقاتها في بيت راعي الأبرشية النائي ، من العوامل التي خلقت فيها ذلك الميل الشديد إلى الكآبة. ورهافة الشعور وحدّة الانفعال . وقد لا يخلو الأمر من أزمة عاطفية ، أو خيبة في الحب ، قد أسهمت في نشوء تلك الميول والأحاسيس . فالمعاومات

النزرة المعروفة عن حياة «أميلي» القصيرة مع شقيقتها «شارلوت» في بيت راعي الأبرشية القصي المنعزل البسيط ، لا تتيح للمستقصي والباحث إلاّ الركون إلى الحدس والتخمين والترجيح .

إنها بحق شاعرة مبدعة . بلغت — في أروع شعرها — مصاف نوابغ شعراء الأنكليز ، وحتى في روايتها اليتيمة كانت «أميلي برونتي» شاعرة أبرز من روائية . ويعدّها بعض النقّاد أشعر شاعرات الأنكليز قاطبـةً . وقد أجملت شقيقتها «شارلوت» منقبتها لهذه الجملة : أقوى من رجل . وابسط من طفل . وطبيعتها نسيج وحدها .



المحتوى

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (١١١٧) لسنة ١٩٨٥

طبع بمطابع جامعة الموصل
مديرية مطبعة الجامعة


م. سرمد حاتم شكر


نوافذ

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٣	براعة	يراعة
١٠	١٠ من		
	الهامش	لمته	مجلته
١٣	١٢	والغص	والفص
١٤	٦	الزنادقة	الزنادقة ؟!
١٤	١٣	أما	أو
١٤	١٥	رؤيّة	رويّة
١٥	٣	يحكمون	يحكمون»
١٥	٢٣	والأولى	والأولى ...»
١٧	٦	الأجور	الأجدر
١٧	٢١	روافع	روامغ
١٩	١٢	يمنأى	بمنأى
١٩	١٩	أبليت	بليت
٢١	٩	يذكر	يذكرا
٢٥	٩	وسلم	وسلم ؟
٢٥	٢١	أفهم	أنهم
٢٦	٨	بصفوف	بصنوف
٢٧	١	تهجم	تهجمات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧	٦	وأغلق	واغلق»
٢٨	٩	فيَّ	في
٢٩	٧	ينفع	ينقع
٢٩	١٢	يمازحه	يمازجه
٢٩	٢٢	رغبَ	وغبَ
٣٢	٥	والغص	والفص
٣٢	١٩	ويحكَ	دعكَ
٣٣	٣	أجل ؟	أجل !
٣٣	٧	يفتت	يقتت
٣٢	٢١	سررتّها	سردتّها
٣٥	١٠	فإذا ذاك	فإذ ذاك
٣٧	١٣	اللقة	اللغة
٣٧	١٧	مفرضة	مغرضة
٣٩	٥	ألغيت	ألفيت
٤٨	١٥	منيرثا	منيرفا
٥٢	٦	قَيِّمها	مُتيِّمها
٥٢	٧	وقصيدة	وقصيده
٥٣	١	إعزقي	إغرقي
٥٣	١٨	(أمس)	(أمسى)
٥٥	١٠	يفني	يغني

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٥	٢١	ينبغي	يبغي
٥٦	٢	إرقّ	أرقّ
٦٠	١٩	أمه	عن أمه
٦٠	٢٤	أعمال	إعمال
٦٨	٩	قيد	بَيدَ
٧١	١٨	نجدً	بخدٍّ
٧٣	٧	منقبتها لهذه	منقبتها بهذه

ملاحظات

الصفحة	السطر	الملاحظة
٢٤	١٩	توضع فارزة بعد (الجوزي) ويليها مباشرة (وقد أوردت إلخ)
٢٦	٢	بعد (الأرهاق). يلي مباشرة (وهـذه الصفة إلخ)
٣٥	٢٢	بعد (المتزندقين). يلي مباشرة (ماهذا التجني إلـخ)
٣٦	٧	بعد (...) يلي مباشرة (فما ظنك ... إلخ)
٥٣	١٩	تحذف الكلمات الثالثة والرابعة والخامسة



طُبع بمطابع جامعة الموصل
مُديرية مطبعة الجامعة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م